رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نصوص الدعوة في القرآن الكريم

دراسة تأصيلية

تأليف
الدكتور محمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار
عضو هيئة التدريس في قسم الدعوة والاحتساب
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

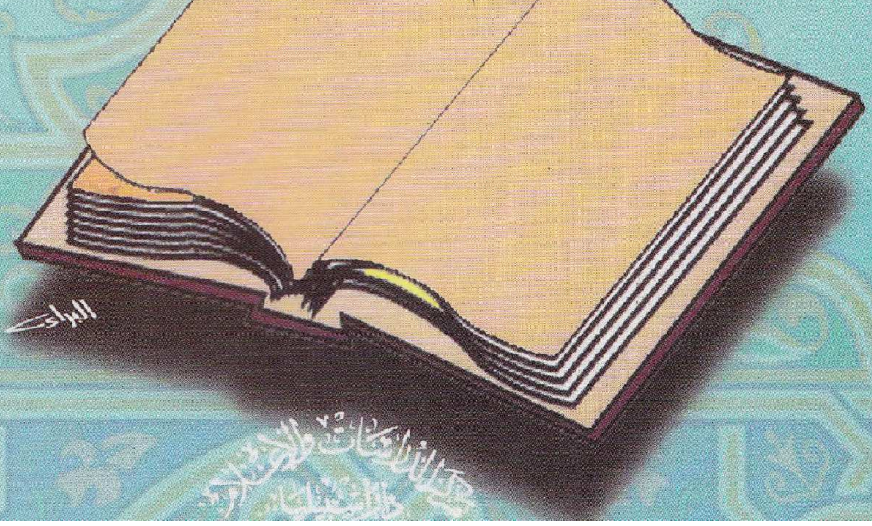

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نصوص الدعوة في القرآن الكريم

دراسة تأصيلية

ⓒ دار اشبيليا للنشر والتوزيع , ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار ، حمد بن ناصر

نصوص الدعوة في القرآن الكريم : دراسة تأصيلية ـ الرياض .

١٨٠ ص ؛ ٢٤ سم

ردمك ٣-٢٠-٧٢٧-٩٩٦٠

١- القرآن - مباحث عامة ٢- الدعوة الإسلامية أ- العنوان

ديوي ٢٢٩ ١٨/١٥٨٣

رقم الإيداع : ١٨/١٥٨٣

ردمك : ٣-٢٠-٧٢٧-٩٩٦٠

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

مركز الدراسات والإعلام / دار اشبيليا

ت/ فاكس: ٤٧٧٣٩٥٩ - ص.ب.: ٣٢٤٦٠ - الرياض: ١١٤٢٨

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نصوص الدعوة في القرآن الكريم
دراسة تأصيلية

تأليف
الدكتور محمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار
عضو هيئة التدريس في قسم الدعوة والاحتساب
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

جمعية الدراسات والإعلام
دار إشبيليا

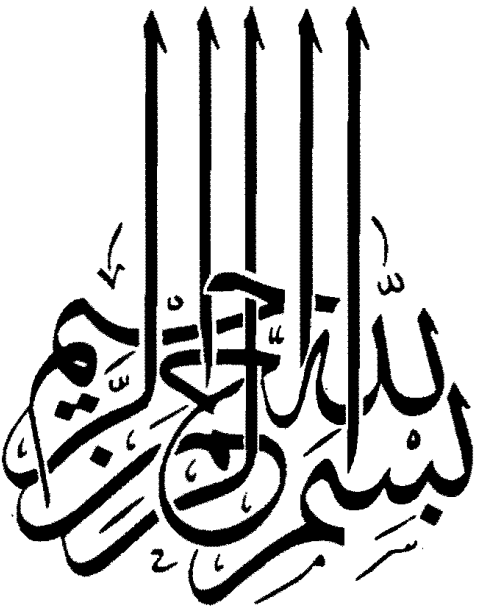
بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقـــدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣) أما بعد(٤):

فلقد ألزمت شريعة الإسلام كلّ مكلّف: القيام بالدعوة إلى الله حسب قدرته وطاقته، لا سيّما وقد ورثت الأمة عن نبيها محمد ﷺ مسؤولية الدعوة، فضلاً عن تخصيص فرقةمؤهلة مدرّبة، مزوّدة بالعلم، لتقوم بعملية الإصلاح والتوجيه والبناء.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، آية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٧٠ ـ ٧١.

(٤) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلّمها أصحابه، ويفتتح بها خطبته أياً كان موضوعها، انظر: خطبة الحاجة ـ محمد ناصرالدين الألباني ١٠ وما بعدها.

إن من الواجب أن ينطلق الداعية في دعوته إلى الله مترسِّماً خطى رسول الله ﷺ في دعوته للناس ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾(١)، وأن يتأسّى برسول الهدى ﷺ في منهجه الدعوي ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾(٢).

لقد سطّر القرآن الكريم تلك الصورة المثلى التي سلكها رسول الله ﷺ مع من كان يدعوهم إلى الله تعالى، فيجب على الدعاة التركيز على القرآن الكريم، وبخاصة تلك الآيات التي برز فيها التوجيه الدعوي؛ ليستلهموا منها الدروس والعبر، قال طلحة: سألت عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه: «أوصى النبي ﷺ؟ فقال: لا، فقلت: كيف كُتبَ على الناس الوصية، أُمروا بها ولم يُوصِ؟ قال: أوصى بكتاب الله»(٣).

وعن ابن شهاب قال: أخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه سمع عمر رضي الله عنه الغَد حين بايع المسلمون أبا بكر، واستوى على منبر رسول الله ﷺ، تشهَّد قبل أبي بكر رضي الله عنه فقال: «أما بعد فاختار الله لرسول ﷺ الذي عنده على الذي عندكم، وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسولكم فخذوا به تهتدوا وإنّما هدى الله به رسوله»(٤).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إنّ الله يرفع

---

(١) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) أخرجه البخاري، في كتاب: فضائل القرآن، باب: الوصاة بكتاب الله عز وجل ٦/ ١٣٠ رقم ٥٠٢٢.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة ٨/ ١٧٥ رقم ٧٢٦٩.

بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين»[١].

وقد سعيت جاهداً على جمع الآيات القرآنية الكريمة التي تناولت كلاً من:

١ـ الدعوة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، النصيحة، الموعظة، البلاغ، الإصلاح. ثمّ صنفتها، وشرحتها وتعرفت على مدلولاتها الدعوية، واعتمدت على ثلاثة كتب من كتب التفسير وهي:

ـ **تفسير القرآن العظيم** للإمام الحافظ: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي رحمه الله.

ـ **محاسن التأويل** للشيخ: محمد جمال الدين القاسمي رحمه الله.

ـ **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** للشيخ: عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله.

وجاء اختيار هذه التفاسير لمبررات كثيرة من أهمِّها:

- السير على منهج السلف في تقرير منهج العقيدة الإسلامية الصحيحة.
- دقة الاستنباط، وسهولة العبارة، وتجنّب الحشو، وتجنّب ذكر الخلاف.
- بروز الدروس الدعوية والفوائد التربوية والجوانب الأخلاقية.

كما قمت بتعريف المصطلحات المشار إليها في اللغة والاصطلاح ليتضح المراد منها، عند ذكر الشواهد القرآنية.

وسأقوم ـ إن شاء الله ـ بإكمال هذه الدراسة في جزئها الثاني عن:

(١) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلّم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلّمها ١/ ٥٥٩ رقم ٨١٧.

«نصوص الدعوة في السنة النبوية»، والله أسأل أن يجعل القرآن العظيم حجة لنا لا علينا، وأن يجعلنا ممّن إذا علموا مسألة من مسائل الهدىٰ عملوا بها، ودعوا إليها، وصبروا علىٰ ما يصيبهم من الأذىٰ في سبيلها، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبدالله ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل التمهيدي

ويشتمل على:

١ـ تعريف الدعوة.

٢ـ تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣ـ تعريف النصيحة.

٤ـ تعريف الموعظة الحسنة.

٥ـ تعريف البلاغ.

٦ـ تعريف الاصلاح.

الدعوة في اللغة:

لكلمة الدعوة معانٍ متعددة، كلّها تدور حول:

الطلب، والسؤال، والنداء، والتجمّع، والدعاء، والاستمالة.

فالدعوة: مصدر للفعل الثلاثي: دعا يدعو، دعوة.

وبعض العرب يؤنث الدعوة بالألف فيقول: «الدعوى»، وتأتي بمعنى الدعاء، ومنه قوله تعالى: ﴿**دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(١).

والدَّعوة بفتح الدال: الدعاء إلى الشيء.

وبكسر الدال: الدِّعوة في النسب.

والدعيُّ: من تبنّيته، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ**﴾(٢).

ودعاه: صاح به، ومنه الدعاء والأدعية(٣).

ودعوت الله: أدعوه دعاءً، أي ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير، ومنه قوله تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾(٤).

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٠، وانظر: تهذيب اللغة ـ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: د. عبدالحليم النجار ٣/ ١٢٢، تاج العروس من جواهر القاموس ـ محمد مرتضى الزبيدي ١٠/ ١٢٦ ـ ١٢٨.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤.

(٣) انظر: الصحاح «تاج اللغة وصحاح العربيّة» ـ إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار ٦/ ٢٣٣٦ ـ ٢٣٣٨، مختار الصحاح ـ الرازي ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٤) سورة الإسراء، آية: ١١٠.

ومنه: النبيّ، فهو داعي الخلق إلىٰ التوحيد، والجمع منه: دعاة وداعون، مثل: قاض وقضاة وقاضون[١].

والدعوة هي: الطلب، يقال: دعا بالشيء: طلب إحضاره.

ودعا إلىٰ الشيء: حثّه علىٰ قصده، يقال: دعاه إلىٰ القتال، ودعاه إلىٰ الصلاة، ودعاه إلىٰ الدين، وإلىٰ المذهب: حثّه علىٰ اعتقاده وساقه إليه[٢].

والدعاء كالنداء إلاّ أنّ النداء قد يقال: بـ(يا)، أو (أيا)، أو نحو ذلك من غير أن يضمّ إليه الاسم. والدعاء لا يكاد يقال إلاّ إذا كان معه الاسم نحو: يا فلان، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر مثل قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ**﴾[٣].

وتطلق الدعوة علىٰ الدعاء إلىٰ أيّ قضية يراد إثباتها أو الدفاع عنها، سواء كانت حقاً أم باطلاً، فمن الباطل: حكاية القرآن عن يوسف عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿**قال رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾[٤]، أي من طاعة النسوة والوقوع في الإثم.

وكما جاء في الحديث عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: (غزونا

---

(١) انظر: القاموس المحيط ـ الفيروز أبادي ٤/ ٣٢٩، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ـ المقرّي الفيّومي، ١/ ٢٣١ ـ ٢٣٢.

(٢) انظر: المعجم الوسيط: إعداد: مجمع اللغة بالقاهرة ١/ ٢٨٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٧١ و انظر: المفردات في غريب القرآن ـ الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ١٦٩ ـ ١٧٠، أساس البلاغة ـ الزمخشري، تحقيق: عبدالرحيم محمود ١٣١.

(٤) سورة يوسف، آية: ٣٣.

مع النبي ﷺ وقد ثاب معه ناسٌ من المهاجرين حتىٰ كثروا، وكان من المهاجرين رجل لَعّابٌ فكسَعَ أنصارياً، فغضب الأنصاري غضباً شديداً حتىٰ تداعوا، وقال الأنصاريّ: يالَلأنصار، وقال المهاجريّ: يالَلمهاجرين، فخرج النبي ﷺ فقال: ما بال دعوىٰ أهل الجاهلية؟ ثمّ قال: ماشأنهم؟ فأخبر بكسعة المهاجريّ الأنصاريَّ، قال: فقال النبيﷺ: دعوها فإنها خبيثة...)[١].

ومن الحقّ قوله تعالىٰ:

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾[٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٣].

وفي كتابه ﷺ إلىٰ هرقل: (من محمد عبدالله ورسوله إلىٰ هرقل عظيم الروم، سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ، أمّا بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يُؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنّ عليك إثم الأريسيين)[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: ما ينهىٰ من دعوىٰ الجاهلية ٤/ ١٩١ رقم ٣٥١٨، وفي كتاب: التفسير، باب: قوله ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ٦ المنافقون، ٦/ ٧٧ ـ ٧٨ رقم ٤٩٠٥، وفي كتاب: التفسير، باب: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٨ المنافقون، ٦/ ٧٨ ـ ٧٠ رقم ٤٩٠٧.

(٢) سورة الرعد، آية ١٤.

(٣) سورة يونس، آية: ٢٥.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الوحي ١/ ٦ ـ ٨ رقم ٧، وأخرجه مسلم في كتاب: الجهاد، باب: كتاب النبي ﷺ إلىٰ هرقل يدعوه إلىٰ الإسلام. ٣/ ١٣٩٣ ـ ١٣٩٧ رقم ١٧٧٤.

فدعاية الإسلام هي: دعوة الإسلام وهي كلمة الشهادة، واتباع منهج الله، ولذلك قال مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾(١).

ويطلق لفظ الدعوة على الأذان، فعن جابر بن عبدالله أنّ رسول الله ﷺ قال: (من قال حين يسمع النداء: اللهمّ ربّ هذه الدعوة التامّة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلّت له شفاعتي يوم القيامة)(٢).

وتطلق الدعوة على الطلب إلى الطعام، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا دُعي أحدكم إلى طعام فليجب، فإن شاء طعم وإن شاء ترك)(٣).

والأصل في مفهوم الدعوة أنه يعتمد على البيان والكلام، كما ذكر ذلك صاحب المقاييس إذ قال: الدعوة: أن تُميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك(٤).

---

(١) سورة غافر، آية ٤١، وللاستزادة انظر: تاج العروس من جواهر القاموس ـ محمد مرتضى الزبيدي ١٠/ ١٢٦ ـ ١٢٨، لسان العرب ـ ابن منظور ١٤/ ٢٥٨، المعجم الوسيط ـ إعداد مجمع اللغة العربية ١/ ٢٨٦ وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الأذان، باب: الدعاء عند الأذان ٢/ ٩٤ رقم ٩١٤، وفي كتاب: التفسير، باب: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ٧٩ الإسراء، ٥/ ٢٧٢ رقم ٤٧١٩.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: النكاح، باب: الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة ٢/ ١٠٥٤ رقم ١٤٣٠، انظر: لسان العرب ـ ابن منظور ١٤/ ٢٦٠، تهذيب اللغة ـ الأزهري، تحقيق: د. عبدالحليم النجار ٣/ ١٢٠.

(٤) معجم مقاييس اللغة ـ ابن فارس تحقيق: عبدالسلام محمد هارون ٢/ ٢٧٩.

ولفظ الدعوة يستعمل في الخير والشر، كما في قوله تعالىٰ عن المشركين: ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾(١).

ومنه حديث المصطفىٰ الكريم ﷺ حيث قال لعمّار بن ياسر رضي الله عنهما: (ويح عمّار تقتله الفئة الباغية، عمّار يدعوهم إلىٰ الله، ويدعونه إلىٰ النّار)(٢).

الدعوة في الاصطلاح:

كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة التي تطلق علىٰ الإسلام أو الرسالة، وعلىٰ عمليّة نشر الإسلام وتبليغه وبيانه للنّاس، وسياق إيرادها هو الذي يحدّد المعنىٰ المراد.

ومن المعلوم أنّ الدعوة بمعنىٰ النشر والبلاغ صارت علماً مستقلاً له موضوعه، وخصائصه، وأهدافه، وأساليبه، ووسائله، وميادينه، ومجالاته، وهو بذلك يواكب سائر العلوم الإسلامية، يفيد منها، ويشاركها في إفادة الإسلام برسم طريق منهجي يكفل له الانتشار والذيوع.

ومن المعلوم كذلك أنّ الدعوة بمعنىٰ الدين، إذا أُطلقت لا يراد منها إلاّ الإسلام بتعاليمه.

وبذلك فإنّ التعريف الاصطلاحي للدعوة بمعناها الأوّل يغاير تعريف الدعوة بالمعنىٰ الثاني، ولهذا يحسن ذكر التعريف الاصطلاحي لكلا المعنيين

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٢١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد، باب: مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله ٦/ ٣٠ رقم ٢٨١٢، وللاستزادة انظر: مدخل إلىٰ علم الدعوة ـ د. عبدالرب نواب الدين ٧ ـ ٨.

من خلال ما ذكره العلماء قديماً وحديثاً[١].

أولاً: الدعوة بمعنى النشر والبلاغ:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إنّ الدعوة إلى الله: هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به، وذلك يتضمّن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشرّه، والدعوة إلى أن يعبد ربه كأنّه يراه[٢].

وقيل: إنّ الدعوة إلى الله: هي إنقاذ الناس من ضلالة، أوشرّ واقع بهم، وتحذيرهم من أمر يُخشى عليهم الوقوع في بأسه[٣].

وقيل: إنّ الدعوة إلى الله: حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل[٤].

وقيل: إنّ الدعوة إلى الله: نقل أمة من محيط إلى محيط[٥].

وقيل: إنّ الدعوة إلى الله: جمع الناس على الخير، ودلالتهم على

---

(١) انظر: فقه الدعوة والإعلام ـ د. عمارة نجيب ١٩، الدعوة الإسلامية «أصولها ووسائلها» ـ د. أحمد أحمد غلوش ١٠.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـ جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ١٥/ ١٥٧ ـ ١٥٨.

(٣) الدعوة إلى الإصلاح ـ محمد الخضر حسين ١٧.

(٤) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ـ علي محفوظ ١٧.

(٥) تذكرة الدعاة ـ البهي الخولي ٣٥.

الرشد، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر[١].

وقيل: إنّ الدعوة إلى الله: صرف أنظار الناس وعقولهم إلى فكرة، أو عقيدة، وحثّهم عليها[٢].

وقيل: إنّ الدعوة إلى الله: الحثّ على فعل الخير، واجتناب الشرّ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحبيب بالفضيلة والتنفير من الرذيلة، واتباع الحق ونبذ الباطل[٣].

وقيل: إنّ الدعوة إلى الله: عمليّة إحياء لنظام ما، لتنتقل الأمة بها من محيط إلى محيط[٤].

وقيل: إنّ الدعوة إلى الله: تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إيّاهم، وتطبيقه في واقع الحياة[٥].

وقيل: إنّ الدعوة إلى الله: الدعوة إلى توحيد الله، والإقرار بالشهادتين، وتنفيذ منهج الله في الأرض قولاً وعملاً، كما جاء في القرآن الكريم والسنّة المطهرة ليكون الدين كلّه لله[٦].

وقيل: إن الدعوة إلى الله: العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنّية المتعددة إلى تبليغ الناس بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق[٧].

(١) أسس الدعوة وآداب الدعاة ـ محمد السيد الوكيل.
(٢) تاريخ الدعوة الإسلامية من الأمس إلى اليوم ـ آدم عبدالله الألوري ١٧.
(٣) مرشد الدعاة ـ محمد نمر الخطيب ٢٤.
(٤) الدعوة الإسلامية في عهدها المكيّ «مناهجها وغاياتها» ـ د. رؤوف شلبي ٣٢.
(٥) المدخل إلى علم الدعوة ـ د. محمد أبو الفتح البيانوني ١٧.
(٦) الدعوة إلى الله «الرسالة ـ الوسيلة ـ الهدف» ـ د. توفيق الواعي ١٩.
(٧) الدعوة الإسلامية «أصولها ووسائلها» ـ د. أحمد أحمد غلوش ١٠، الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان ـ محمد سعيد البارودي ٢٤.

وقيل: إنّ الدعوة إلى الله: فنّ يبحث في الكيفيات المناسبة التي تجذب بها الآخرين إلى الإسلام، أو يحافظ على دينهم بواسطتها[١].

وقيل: إنّ الدعوة إلى الله: قيام من له أهليّة بدعوة الناس جميعاً في كل زمان ومكان لاقتفاء أثر رسول الله ﷺ والتأسي به قولاً وعملاً وسلوكا[٢].

وقيل: إنّ الدعوة إلى الله: إبلاغ الناس دعوة الإسلام في كل زمان ومكان بالأساليب والوسائل التي تتناسب مع أحوال المدعوين[٣].

وهذه التعاريف لا منافاة بينها، فليست من باب اختلاف التضادّ، لكنّها من باب اختلاف التنّوع، فكل تعريف للدعوة من هذه التعاريف عُني بجانب من جوانب الدعوة وركّز عليه، وأرى أنّ من أفضل التعاريف للدعوة الواردة ما عرفها به الدكتور: محمد أبو الفتح البيانوني، حيث قال: إنّ الدعوة إلى الله: «تبليغ الإسلام للنّاس، وتعليمه إيّاهم، وتطبيقه في واقع الحياة»[٤]، حيث يُعَدّ هذا التعريف جامعاً مانعاً.

وقد جاء معنى الدعوة في هذا البحث على هذا المعنى، وعلى أنّ المقصود بالدعوة: النشر والبلاغ.

ثانياً: الدعوة بمعنى الدين أو الرسالة:

قيل إنّ الدعوة إلى الله: دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعاً، تجدّد على يد محمد ﷺ خاتم النبيين، كاملاً وافياً لصلاح الدين والآخرة[٥].

(١) الدعوة والإنسان ـ د. عبدالله الشاذلي ٣٩.
(٢) الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل ـ محمد بن سيدي بن الحبيب ٢٧.
(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ـ علي بن صالح المرشد ٢١.
(٤) المدخل إلى علم الدعوة ـ د. محمد أبو الفتح البيانوني ١٧.
(٥) الدعوة الإسلامية «دعوة عالمية» ـ محمد الراوي ٣٩.

وقيل إنّ الدعوة إلى الله: دين الله الذي ارتضاه للعالمين، تمكيناً لخلافتهم، وتيسيراً لضروراتهم، ووفاءً بحقوقهم، ورعاية لشؤونهم، وحماية لوحدتهم، وتكريماً لإنسانيتهم، وإشاعة للحق والعدل فيما بينهم(١).

وقيل إنّ الدعوة إلى الله: هي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني، وتقرير الحقوق والواجبات(٢).

وقيل إنّ الدعوة إلى الله: هي الخضوع لله والانقياد لتعاليمه بلا قيد ولا شرط.

وقيل: هي الدين الذي ارتضاه الله للعالمين، وأنزل تعاليمه وحياً على رسول الله ﷺ، وحفظها القرآن الكريم والسنّة النبويّة.

وقيل: هي النظام العام، والقانون الشامل لأمور الحياة، ومناهج السلوك للإنسان، التي جاء بها محمد ﷺ من ربّه، وأمره بتبليغها إلى النّاس، وما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب في الآخرة.

وهذه التعاريف الثلاثة الأخيرة ليست متعارضة، بل إنّها تتعاون في إعطاء صورة الإسلام الذي هو الدعوة(٣).

وقيل: إن الدعوة إلى الله: نداء الحق للخلق، ليوحّدوا المعبود، ويعبدوا الواحد، حنفاء لله غير مشركين به، متبّعين غير مبتدعين(٤).

وهذه التعاريف للدعوة إلى الله في الاصطلاح بمعنييها ليست من باب

(١) المرجع السابق ص/ ٤.
(٢) المرجع السابق ص/ ٤.
(٣) الدعوة الإسلامية «أصولها ووسائلها» ـ د. أحمد أحمد غلوش ١٢ ـ ١٣، الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان ـ محمد سعيد البارودي ٢٥.
(٤) التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته ـ د. محمد الأحمدي أبو النور ١٩.

الحدود، وإنّما هي رسوم لها، وهي تختلف شمولاً وقصوراً حسب نظر المعرِّف لها[١].

والعلاقة بين المعنيين واضحة، فبالإضافة إلى وحدة المصدر، ووحدة الهدف، فالدعوة إلى الله هدف، وإبلاغها للآخرين وسيلة، وبذلك يتحقّق اندماج الهدف بالوسيلة[٢].

ولفظ الدعوة إذا أُطلق ينصرف عرفاً إلى المعنى الأول الذي عرفناها به، وهو الدعوة إلى الإسلام بمعنى النشر والبلاغ، وهو المعنى الذي تواردت عليه معظم الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبويّة الشريفة[٣].

المعروف في اللغة:

يدور معنى المعروف في اللغة غالباً على ما تعارف عليه الناس وعلموه ولم ينكروه[٤].

جاء في القاموس: عرفه يعرفه معرفةً وعرفاناً، وعَرِفه بالكسر، وعِرِفانا ـ بكسرتين مع تشديد الفاء ـ علمه، والمعروف ضدّ المنكر[٥].

وقال ابن فارس: العين والراء والفاء أصل صحيح تدلّ على معان منها: السكون، والطمأنينة إلى الشيء، يقال: هذا أمر معروف، أي أنّ النفس تألفه وتسكن إليه[٦].

---

(١) (ادع إلى سبيل ربك) ـ د. مصلح سيّد بيومي ١٤.

(٢) الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان ـ محمد سعيد البارودي ٢٦.

(٣) المدخل إلى علم الدعوة ـ د. محمد أبو الفتح البيانوني ١٨.

(٤) القول البيّن الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي ٨.

(٥) القاموس المحيط ـ فيروز أبادي ٣/ ٢٥١ ـ ٢٥٢، مختار الصحاح ـ الرازي ٤٢٦.

(٦) معجم مقاييس اللغة ـ ابن فارس ٤/ ٢٨١.

وجاء في المعجم الوسيط: العُـرْف: المعروف وهو خلاف المنكر، وما تعارف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم(١).

المعروف في الاصطلاح:

المعروف هو كل ما يعرفه الشرع ويأمر به ويمدحه، ويثني على أهله، ويدخل في ذلك: جميع الطاعات، وفي مقدمتها: توحيد الله عز وجل والإيمان به(٢).

المنكر في اللغة:

يدور معنى المنكر في اللغة غالباً على ما جهله الناس واستنكروه وجحدوه(٣).

جاء في القاموس المحيط وغيره: النّكر بالضم بضمتين، المنكر كالنكراء، والأمر الشديد، والنكرة خلاف المعرفة، وتناكر تجاهل، والقوم تعادوا، ونكر فلان الأمر كفرح نكراً محركة، ونُكُرا، ونُكُوراً بضمها، ونكيراً، وأنكره واستنكره، وتناكره جهله، والمنكر ضدّ المعروف، يقال: نكر الشيء وأنكره: لم يقبله ولم يعترف به لسانه(٤).

---

(١) المعجم الوسيط ـ إبراهيم مصطفى وآخرون ٢/ ٦٠١.

(٢) انظر: القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ عبدالعزيز الراجحي ١٠، المفردات في غريب القرآن ـ الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ٣٣١، التعريفات ـ الجرجاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة ـ ٢٧٥، من فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ محمد عبدالله الخطيب ١٣، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ أحمد عزالدين البيانوني ٧، تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ عبدالله بن صالح القصير ٧.

(٣) القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي ٨.

(٤) القاموس المحيط ـ فيروز أبادي ٢/ ٢٠٨، معجم مقاييس اللغة ـ ابن فارس ٤/ ٢٨١.

والمنكر واحد المناكير، والنكير والإنكار تغيير المنكر، والنّكرة هو المنكر ومنه: قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾[١].

المنكر في الاصطلاح:

المنكر هو: كل ما ينكره الشرع وينهىٰ عنه ويذمّه ويذمّ أهله.

ويدخل في ذلك جميع المعاصي والبدع، وفي مقدمتها: الشرك بالله عزوجل، وإنكار وحدانيته، أو ربوبيته، أو أسمائه، أو صفاته[٢].

والمنكر هو كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استباحته واستحسانه العقول، فتحكم الشريعة بقبحه[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإذا كان جماع الدين وجميع الولايات هو أمرٌ ونهي، فالأمر الذي بعث الله به رسوله ﷺ هو الأمر بالمعروف، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر»[٤].

وقال أيضاً: «وتحريم الخبائث ممّا يندرج في معنىٰ النهي عن المنكر، كما أنَّ إحلال الطيبات يندرج في الأمر بالمعروف؛ لأنّ تحريم الطيبات ممّا نهىٰ الله عنه»[٥].

---

(١) سورة الكهف، آية: ٧٤، وانظر: مختار الصحاح ـ الرازي ٦٧٩.

(٢) انظر: القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ عبدالعزيز ابن عبدالله الراجحي ١٠، التعريفات ـ الجرجاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة ٢٩٠، من فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ محمد عبدالله الخطيب ١٣، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ أحمد عزالدين البيانوني ٧.

(٣) المفردات في غريب القرآن ـ الأصفهاني: تحقيق: محمد سيد كيلاني ٥٠٥.

(٤) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب ـ عبدالرحمن بن قاسم ٢٨/ ٦٥.

(٥) المرجع السابق ٢٨/ ١٢٢.

وإذا أطلق الأمر بالمعروف من غير أن يقرن بالنهي عن المنكر، فإنّه يدخل فيه النهي عن المنكر؛ وذلك لأنّ ترك المنهيّات من المعروف، ولأنّه لا يتمّ فعل الخير إلاّ بترك الشرّ، ومثال ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾(١)، فإنّ الأمر بالمعروف يتضمّن النهي عن المنكر.

وكذلك إذا أطلق النهي عن المنكر ـ من غير أن يقرن بالأمر بالمعروف ـ فإنه يدخل فيه الأمر بالمعروف؛ وذلك لأنّ ترك المعروف من المنكر، ولأنه لا يتم ترك الشرّ إلاّ بفعل الخير.

ومثال ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾(٢).

فإن نهيهم عن السوء يتضمّن أمرهم بالخير.

وأمّا عند اقتران أحدهما بالآخر فيفسّر المعروف بفعل الأوامر، ويفسّر المنكر بترك النواهي، وأمثلة ذلك كثيرة في كتاب الله تعالىٰ، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٣).

النصيحة في اللغة:

أصلها من الفعل الثلاثي: نصح.

(١) سورة النساء، آية: ١١٤.
(٢) سورة الأعراف، آية: ١٦٥.
(٣) سورة التوبة، آية: ٧١.

قال الرازي: نصحه، ونصحَ له، ينصح بالفتح فيهما، نُصحاً بالضم، ونصَاحة بالفتحة، والاسم: النصيحة، والنصح هو: الناصح، وقوم نصحاء بوزن فقهاء، ورجل ناصح الجيب أي نقيّ القلب، والناصح: هو الخالص من كل شيء.

وانتصح فلان أي: قبل النصيحة.

يقال: انتصحْني فإني لك ناصح، وتنصّح أي: تشبه بالنُّصحاء، واستنصحه عدّه نصيحاً، وفيه: التوبة النصوح وهي الصادقة[١].

وقال المقرّي: نصحت لزيد أنصح نُصحاً ونصيحة، هذه اللغة الفصيحة، وعليها قوله تعالىٰ: ﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾[٢] وفي لغة: يتعدىٰ بنفسه فيقال: نصحته، وهو الإخلاص والصدق والمشورة والعمل، والفاعل ناصح ونصح، والجمع: نصحاء[٣].

وقال فيروز أبادي: نصحه نصحاً ونصاحة ونصاحية، وهو ناصح ونصيح من نُصَّح ونُصَّاح، والاسم النصيحة، ونصح: خلص، وأرض منصوحة أي: مَجُودَةٌ متّصلة النبات[٤].

وقال الأصفهاني: والنصح هو تحرّي فعل أو قول فيه صلاح صاحبه، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[٦]، وقال

(١) مختار الصحاح ـ الرازي ٦٦٢.
(٢) سورة هود، آية: ٣٤.
(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ـ المقري ٢/ ٧٤٣.
(٤) القاموس المحيط ـ فيرز آبادي ١/ ٥٠٠.
(٥) سورة الأعراف، آية: ٧٩.
(٦) سورة الأعراف، آية ٢١.

تعالىٰ: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾[١] وهذا من قولهم: نصحت له الودّ، أي: أخلصته، وناصح العسل: خالصه[٢].

النصيحة في الاصطلاح:

قال الجرجاني: النصح: هو إخلاص العمل عن شوائب الفساد.

والنصيحة: هي الدعاء إلىٰ ما فيه الصلاح، والنهي عمّا فيه الفساد[٣].

وقال القرطبي: النصح: هو إخلاص النّية من شوائب الفساد في المعاملة بخلاف الغش[٤].

وقال النووي: ليس في كلام العرب كلمة مفردة يستوفىٰ بها العبارة عن معنىٰ هذه الكلمة.

وقيل: النصيحة: مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه، فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسدّه من خلل الثوب.

وقيل: إنَّها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع، شبّهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط[٥].

وقال الخطابي: النصيحة كلمة يعبّر بها عن جملة هي: إرادة الخير للمنصوح له[٦].

---

(١) سورة هود: آية: ٣٤.

(٢) المفردات في غريب القرآن ـ الأصفهاني، تحقيق: محمد سعيد كيلاني ٤٩٤.

(٣) التعريفات ـ الجرجاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة ٢٩٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ٧/ ٢٣٤.

(٥) شرح النووي علىٰ صحيح الإمام مسلم ٢/ ٣٧.

(٦) جامع العلوم والحكم ـ ابن رجب الحنبلي، تحقيق: د. وهبه الزحيلي ١/ ١٤٨.

وقال الخطابي أيضاً: النصيحة كلمة جامعة معناها: حيازة الحظ للمنصوح له[١].

وقال أبو عمرو بن الصلاح: النصيحة كلمة جامعة تتضمن: قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً[٢].

وخلاصة هذه التعاريف: أن يخلص الإنسان نيّته في قوله وفعله إذا أراد أن ينصح أخاه المسلم وغيره، فلا يقصد بذلك أيّ غرض من أغراض الدنيا، أو الانتصار للنفس، أو الانتقاص للمنصوح، وأن يبذل جهده في النصح بأن يتحرىٰ أحسن أسلوب لديه[٣].

الموعظة في اللغة:

أصلها من الفعل الثلاثي: وعظ.

قال ابن فارس: الوعظ: هو التخويف، والعظة: الاسم منه[٤].

وقال الرازي: الوعظ: هو النصح والتذكير بالعواقب، من باب وعد، وعظه بالكسر، فاتعظ أي قبل الموعظة، يقال: السعيد من وعظ بغيره، والشقي من اتعظ به غيره[٥].

وقال المقري: وعظه، يعظه وعظاً، وعظة أي: أمره بالطاعة ووصّاه بها.

وعليه قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾[٦] أي: أوصيكم وآمركم.

(١) فتح الباري ـ ابن حجر ١/ ١٣٨.
(٢) المرجع السابق ١/ ١٥٠ ـ ١٥١
(٣) النصيحة «شروطها وضوابطها» ـ د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود.
(٤) معجم مقاييس اللغة ـ ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون ٦/ ١٢٦.
(٥) مختار الصحاح ـ الرازي ٧٢٩.
(٦) سورة سبأ، آية: ٤٦.

فاتعظ أي: ائتمر وكفّ نفسه، والاسم: الموعظة، وهو واعظ، والجمع: وعّاظ[١].

وقال فيروز أبادي: وعظه، يعظه، وعظاً وعظة، وموعظة، أي: ذكّره ما يلين قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ[٢].

وقال الأصفهاني: الوعظ زجر مقترن بتخويف، قال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرقّ له القلب[٣].

الموعظة في الاصطلاح:

قال الجرجاني: الوعظ هو التذكير بالخير فيما يرقّ له القلب[٤].

وقال ابن القيم: الموعظة الحسنة هي: الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

وقال الشوكاني: الموعظة الحسنة هي: المقالة المشتملة على ما يستحسنه السامع، وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها.

وقال أيضا: الموعظة الحسنة هي: الحجج اللفظية الإقناعية، الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة[٥].

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ـ المقري ٢/ ٨٣٢.

(٢) القاموس المحيط ـ فيروز أبادي ٢/ ٥٩١.

(٣) المفردات في غريب القرآن ـ الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ٥٢٧.

(٤) التعريفات ـ الجرجاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة ٣٠٨.

(٥) التفسير القيم للإمام ابن القيم ـ جمع: محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي ٣٤٤.

البلاغ في اللغة:

أصله من الفعل الثلاثي: بلغ.

قال الرازي: بلغ المكان وصل إليه، وكذا إذا شارف عليه، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: قاربنه، وبلغ الغلام: أدرك.

والإبلاغ والتبليغ: الإيصال، والاسم فيه: البلاغ، والبلاغة: الفصاحة، وبَلُغَ الرجل صار بليغاً، والبلاغات كالوشايات، وبالغ في الأمر إذا لم يقصِّر فيه، والبُلغة: ما يُتبلَّغ به من العيش، وتبلّغ بكذا، أي: اكتفىٰ به[١].

وقال المقري: بلغ الكتاب بلاغاً وبلوغاً: وصل، وبلغت الثمار: أدركت ونضجت، وبالغت في كذا: بذلت الجهد في تتبعه، والبلغة ما يتبلّغ به من العيش ولا يفضل، وفي هذا بلاغ، وبلغة، وتبلغ أي كفاية، وأبلغه السلام وبلّغه.

وبلُغ بالضم، بلاغة، فهو بليغ إذا كان فصيحاً طلق اللسان[٢].

وقال فيروز أبادي: بلغ: المكان بلوغاً، وصل إليه وشارف عليه، وأمر الله بلْغٌ أي: بالغ، نافذ، يبلغ به أين أريد به، والبليغ: الفصيح، والبلاغ: الكفاية.

والاسم من الإبلاغ، والتبليغ وهما: الإيصال[٣].

وقال الأصفهاني: بلغ البلوغ والبلاغ: الانتهاء إلىٰ أقصىٰ المقصود

---

(١) مختار الصحاح ـ الرازي ٦٣ ـ ٦٤.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ـ المقري ١/ ٧٦.

(٣) القاموس المحيط ـ فيروز أبادي ٣/ ١٤٩.

والمنتهى مكاناً كان أو زماناً أو أمراً من الأمور المقدرة، والبلاغ: التبليغ نحو قوله تعالى: ﴿ هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ ﴾[١]، وقوله: ﴿ وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾[٢]، وقوله: ﴿ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾[٣].

أي إن لم تبلِّغ هذا أو شيئاً مما حمّلت تكن في حكم من لم يبلِّغ شيئاً من رسالته، وذلك أنَّ حكم الأنبياء عليهم الصلاة واسلام وتكليفاتهم أشدّ، وليس حكمهم كحكم سائر النّاس الذين يتجافى عنهم إذا خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

والبلاغة تقال على وجهين: أحدهما أن يكون بذاته بليغاً وذلك بأن يجمع ثلاثة أوصاف: صواباً في موضع لغته، ومطبقاً للمعنى المقصود به، وصدقاً في نفسه، ومتى اخترم وصف من ذلك كان ناقصاً في البلاغة.

والثاني: أن يكون بليغاً باعتبار القائل والمقول له، وهو أن يقصد القائل أمراً فيَرِدَهُ على وجه حقيق أن يقبله المقول له[٤].

البلاغ في الاصطلاح:

هو: تبليغ رسالة الإسلام وإيصالها إلى الناس بوجه مشروع[٥].

الإصلاح في اللغة:

أصله من الفعل الثلاثي: صلح.

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٥٢.

(٢) سورة يس، آية: ١٧.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٤) المفردات في غريب القرآن ـ الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ٦٠ ـ ٦١.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ٤/ ٤٦، و٦/ ٢٤٢، لباب التأويل في معاني التأويل ـ الخازن ١/ ٢٢٤، فتح القدير ـ الشوكاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة ٢/ ٦٢.

قال الرازي: الصلاح ضدّ الفساد، وبابه دخل، ونقل الفرّاء: صَلُحَ أيضاً بالضم. وهذا يصلح لك أي: هو من بابتك.

والإصلاح: ضدّ الإفساد، والاستصلاح: ضدّ الاستفساد[١].

وقال المقرّي: صلح الشيء صلوحاً من باب قعد، وهو خلاف فسد، وأصلح أتى بالصلاح، وهو الخير والصواب، وفي الأمر مصلحة أي خير، والجمع: المصالح، وأصلحت بين القوم: وفقت، وتصالح القوم واصطلحوا، وهو صالح للولاية أي له أهلية القيام بها[٢].

وقال فيروز أبادي: الصلاح: ضدّ الفساد، وأصلحه ضدّ أفسده وإليه أحسن، والصُّلح بالضم: السِّلم، وصالحه مصلحة وصلاحاً، واصّالحا وتصالحا واصطلحا، والمصلحة: واحدة المصالح، واستصلح نقيض استفسد[٣].

وقال الأصفهاني: الصلاح ضدّ الفساد، وهما مختصّان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل في القرآن الكريم تارة بالفساد، وتارة بالسيئة، قال تعالى: ﴿ **خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا** ﴾[٤] وقوله: ﴿ **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا** ﴾[٥]. والصلح: يختص بإزالة النِّفار بين الناس كما قال تعالى: ﴿ **أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا** ﴾[٦] وقوله: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا**

(١) مختار الصحاح ـ الرازي ٣٦٧.
(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ـ المقري ١/ ٤٠٨.
(٣) القاموس المحيط ـ فيروز أبادي ١/ ٤٧٣.
(٤) سورة التوبة، آية: ١٠٢.
(٥) سورة الأعراف، آية: ٥٦.
(٦) سورة النساء، آية: ١٢٨.

بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[١]. وإصلاح الله تعالىٰ الإنسان يكون تارة بخلقه إيّاه صالحاً، وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده، وتارة يكون له بالصلاح[٢].

الإصلاح في الاصطلاح:

قال التهانوي: الصلاح هو سلوك طريق الهدىٰ، وقيل: هو استقامة الحال علىٰ ما يدعو إليه العقل والشرع، والصالح: هو القائم بما عليه من حقوق الله تعالىٰ[٣].

(١) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٢) المفردات في غريب القرآن ـ الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ٢٨٤.

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون ـ التهانوي، تحقيق: د. لطفي عبدالبديع ٤/ ٢١٧.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول

آيات الدعوة والدروس المستنبطة منها

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول:

آيات الدعوة وشروحها

المبحث الثاني:

الدروس الدعوية المستنبطة من آيات الدعوة.

المبحث الأول
آيات الدعوة وشروحها

قال تعالىٰ:

﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1].

قال الشيخ القاسمي رحمه الله:

أشار الله تعالىٰ إلىٰ وجه الخطر بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي: المذكورون من المشركات والمشركين ﴿يَدْعُونَ﴾ من يقاربهم ويعاشرهم ﴿إِلَى النَّارِ﴾ أي: إلىٰ ما يؤدي إليها من الكفر والفسوق، فإنّ الزوجية مظنّة الألفة والمحبّة والمودّة، وكل ذلك يوجب الموافقة في المطالب والأغراض، فحقّهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو﴾ أي: بما يأمر به علىٰ ألسنة رسله ﴿إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾ أي: العمل المؤدي إليها. ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ﴾ أمره ونهيه في التزويج ﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لكي يتعظوا وينتهوا عن تزويج الحرام، ويوالوا أولياء الله ـ وهم المؤمنون ـ بالمعاشرة والمصاهرة فيفوزوا بما دعوا إليه من الجنة والغفران[2].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

ثم ذكر تعالىٰ الحكمة في تحريم نكاح المسلم أو المسلمة لمن خالفهما في الدين فقال: ﴿أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ أي في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم،

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٢١.

(٢) محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ٣/ ٢١٩.

فمخالطتهم على خطر منهم، والخطر ليس من الأخطار الدنيوية، إنّما هو للشقاء الأبدي.

ويستفاد من تعليل الآية: النهي عن مخالطة كل مشرك ومبتدع، لأنّه إذا لم يجز التزوج ـ مع أن فيه مصالح كثيرة ـ فالخلطة المجردة من باب أولى، وخصوصاً الخلطة التي فيها ارتفاع المشرك ونحوه على المسلم، كالخدمة ونحوها.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾ أي: يدعو عباده لتحصيل الجنة والمغفرة التي من آثارها دفع العقوبات، وذلك بالدعوة إلى أسبابها من الأعمال الصالحة، والتوبة النصوح، والعلم النافع، والعمل الصالح[1].

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[2].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى منكراً على اليهود والنصارى المتمسّكين فيما يزعمون بكتابيهم اللذين بأيديهم، وهما التوراة والإنجيل، وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيهما من طاعة الله فيما أمرهم به فيهما من اتباع محمد ﷺ، تولّوا وهم معرضون عنهما، وهذا في غاية ما يكون من ذمّهم، والتنويه بذكرهم بالمخالفة والعناد[3].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٨٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٢٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ١/ ٣٨.

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله:

وللآية ثمرتان:

الأولىٰ: أنّ من دعي إلىٰ كتاب الله، وإلىٰ ما فيه من شرع وجب عليه الإجابة لقوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[١].

الثانية: أنّ الإسلام ليس بشرط في الإحصان لأنه ﷺ رجم اليهوديين، ونزلت الآية مقرّرة له[٢].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

أي: ألا تنظر وتعجب من هؤلاء ﴿**الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ**﴾، و﴿**يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ**﴾ الذي يصدق ما أنزله علىٰ رسله ﴿**ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ**﴾ عن اتباع الحق، فكأنه قيل: أي داع دعاهم إلىٰ هذا الإعراض، وهم أحقّ بالاتباع، وأعرف بحقيقة ما جاء به محمد ﷺ[٣].

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[٤].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالىٰ: ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلىٰ الخير

(١) سورة النور، آية: ٥١.
(٢) محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ٤/ ٧٥.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ١٠٤.
(٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأولئك هم المفلحون.

قال الضحاك: هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة، يعني المجاهدين والعلماء.

المقصود من هذه الآية: أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه[١].

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ أي: جماعة، سميت بذلك لأنّها يؤمها فرق الناس، أي يقصدونها ويقتدون بها ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ وهو ما فيه صلاح ديني ودنيوي ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي بكل معروف من واجب ومندوب يقرّبهم إلى الجنة ويبعدهم عن النار ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ أي عن كل منكر من حرام ومكروه يقرّبهم إلى النار ويقربهم من الجنة ﴿وَأُولَئِكَ﴾ الداعون الآمرون الناهون ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائزون بأجور أعمال من تبعهم.

قال بعضهم: الفلاح هو الظفر وإدراك البغية، فالدنيوي هو إدراك السعادة التي تطيب بها الحياة، والأخروي أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وعزّ بلا ذلّ، وغنى بلا فقر، وعلم بلا جهل[٢].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

إنّ السبب الأقوى الذي يجعل المسلمين يتمكنون به من إقامة دينهم، بأن يتصدى منهم طائفة يحصل فيها الكفاية ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ وهو الدين، أصوله، وفروعه، وشرائعه ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهو ما عرف حسنه شرعاً وعقلاً ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ وهو ما عرف قبحه شرعاً وعقلاً ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ١/ ٤١٨ ـ ٤١٩.

(٢) محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ٤/ ١٧٦.

﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ المدركون لكل مطلوب، الناجون من كل مرهوب.

ويدخل في هذه الطائفة: أهل العلم والتعليم، والمتصدّون للخطابة ووعظ الناس عموماً وخصوصاً، والمحتسبون الذين يقومون بإلزام الناس بإقامة الصلوات، وإيتاء الزكاة، والقيام بشرائع الدين، وينهونهم عن المنكرات.

فكل من دعا الناس إلى خير على وجه العموم، أو على وجه الخصوص، أو قام بنصيحة عامة أو خاصة، فإنه داخل في هذه الآية الكريمة[1].

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال السدّي: قال المشركون للمسلمين: اتبعوا سبيلنا واتركوا دين محمد، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾ أي في الكفر ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ فيكون مثلنا مثل الذي استهوته الشياطين في الأرض، يقول: مثلكم إن كفرتم بعد إيمانكم، كمثل رجل خرج مع قوم على الطريق، فضلّ الطريق، فحيرته الشياطين، واستهوته في الأرض وأصحابه على الطريق فجعلوا يدعونه إليهم يقولون: ائتنا فإنّا على الطريق، فأبى أن يأتيهم، فذلك مثل من يتبعهم بعد المعرفة بمحمد ﷺ، ومحمد ﷺ هو

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ عبدالرحمن السعدي ١١٢.
(٢) سورة الأنعام، آية: ٧١.

الذي يدعو إلى الطريق، والطريق هو الإسلام[١].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

وهذه حال الناس كلّهم إلاّ من عصمه الله تعالى، فإنهم يجدون فيهم جواذب ودواعي متعارضة، دواعي الرسالة والعقل الصحيح والفطرة المستقيمة ﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾ والصعود إلى أعلى عليين، ودواعي الشيطان ومن سلك مسلكه، والنفس الأمارة بالسوء، يدعونه إلى الضلال والنزول إلى أسفل سافلين، فمن الناس من يكون مع دواعي الهدى في أموره كلها أو أغلبها، ومنهم مَنْ بالعكس من ذلك، ومنهم من يتساوى لديه الداعيان، ويتعارض عنده الجاذبان، وفي هذا الموضع تعرف أهل السعادة من أهل الشقاوة[٢].

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٣].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

هذا نداءٌ من الله عز وجل إلى عباده المؤمنين بضرورة الاستجابة لدعوة الله تعالى، ولدعوة رسول ﷺ؛ لأنه في الاستجابة لهذه الدعوة تكمن الحياة والنجاة والقوة والسعادة[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ١٦٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٢٢٣.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٣٢٩.

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله:

وفي هذه الآية: حثٌّ على المبادرة إلى الطاعة قبل حلول المنيّة، فمعنى: ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ أي: يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها، وهي التمكن من إخلاص القلب، ومعالجة أدوائه وعلله، وردّه سليماً كما يريده الله(١).

وقال الشيخ: عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله تعالى وللرسول ﷺ، أي: الانقياد لما أمر به، والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه، والنهي عنه.

وقوله: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ وصفٌ ملازم لكل ما دعا الله تعالى ورسوله ﷺ إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإنّه حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى، ولزوم طاعته، وطاعة رسوله على الدوام(٢).

* * *

قال الله تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٣).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

لما ذكر تعالى الدنيا وسرعة زوالها، رغّب في الجنة ودعا إليها وسمّاها دار السلام، أي: من الآفات والنقائص والنكبات(٤).

---

(١) محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ٨/ ٣٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٢٨٠.

(٣) سورة يونس، آية: ٢٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٤٥٤.

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله:

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ أي: يدعو الخلق بتوحيده إلى جنته ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: دين قيمّ يرضاه، وهو الإسلام(١).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

عمّم تعالى عباده بالدعوة إلى دار السلام، والحث على ذلك، والترغيب، وخصّ بالهداية من شاء استخلاصه واصطفاءه، فهذا فضله وإحسانه، والله يختص برحمته من يشاء، وذلك عدله وحكمته، وليس لأحد عليه حجة بعد البيان والرسل(٢).

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾(٣).

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

قال المشركون لصالح عليه السلام: قد كنّا نرجوك ونؤمل فيك العقل والنفع، وهذا شهادة منهم لنبيهم صالح عليه السلام، أنه ما زال معروفاً بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وأنّه من خيار قومه، ولكنّه لما جاءهم بهذا الأمر الذي لا يوافق أهواءهم الفاسدة، قالوا هذه المقالة التي مضمونها أنك قد كنت كاملاً والآن أخلفت ظنّنا فيك، وصرت بحالة لا يرجى منك خير، وذنبه، ما قالوه عنه: ﴿أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ وبزعمهم أنّ هذا من أعظم القدح في صالح، كيف قدح في عقولهم وعقول آبائهم الضّالين، وكيف

(١) محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ٩/ ٢٥.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٣١٨.
(٣) سورة هود، آية: ٦٢.

ينهاهم عن عبادة من لا ينفع ولا يضرّ، ولا يغني شيئاً من الأحجار والأشجار ونحوها؟ وأمرهم بإخلاص الدين لله ربهم الذي لم تزل نعمه عليهم تترىٰ، وإحسانه عليهم دائماً ينزل، الذي ما بهم من نعمة إلاّ منه، ولا يدفع عنه السيئات إلاّ هو؟ ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ أي: ما زلنا شاكين فيما دعوتنا إليه، شكاً مؤثراً في قلوبنا الريب. وبزعمهم أنهم لو علموا صحة ما دعاهم إليه لاتبعوه، وهم كذَبة في ذلك(١).

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾(٢).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

أي السجن أحبّ إلي من الدعوة إلىٰ الفاحشة ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أي إنْ وكلتني إلىٰ نفسي فليس لي منها قدرة ولا أملك لها ضرّاً ولا نفعاً إلاّ بحولك وقوتك، أنت المستعان وعليك التكلان فلا تكلني إلىٰ نفسي.

وذلك أنَّ يوسف عليه السلام عصمه الله عصمة عظيمة، وحماه فامتنع منها أشدّ الامتناع، واختار السجن علىٰ ذلك، وهذا في غاية مقامات الكمال، أنّه مع شبابه وجماله وكماله، وتدعوه سيّدته، وهي امرأة عزيز مصر، وهي مع هذا في غاية الجمال والمال والرياسة، ويمتنع من ذلك ويختار السجن علىٰ ذلك خوفاً من الله ورجاء ثوابه(٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ عبدالرحمن السعدي ٣٤٠ ـ ٣٤١.

(٢) سورة يوسف، آية: ٣٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٥٢٣.

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله:

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ أي: من مواتاتها، لأنّه مشقّة قليلة تعقبها راحات أبديّة، ثم فزع يوسف عليه السلام إلى الله تعالى في طلب العصمة بقوله ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ يعني: ما أردن منّي ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أي: أميل إلى إجابتهنّ بمقتضى البشرية ﴿وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: بسبب ارتكاب ما يدعونني إليه من القبيح(١).

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٢).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين: الإنس والجنّ، آمراً له أن يخبر الناس أنّ هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسننه، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي(٣).

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله:

دلّ قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ على مزيّة هذا الدين الحنيف، ونهجه

---

(١) محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ٩/ ٢٢٠ ـ ٢٢١.

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٥٤٣.

الذي انفرد به، وهو أنّه لم يطلب التسليم به لمجرد أنّه جاء بحكايته، ولكنَّه ادعىٰ وبرهن، وحكىٰ مذاهب المخالفين، وكرّ عليها بالحجة، وخاطب العقل، واستنهض الفكر، وعرض نظام الأكوان وما فيها من الإحكام والإتقان علىٰ أنظار العقول، وطالبها بالإمعان فيها لتصل إلىٰ اليقين بصحة ما ادعاه ودعا إليه.

كما دلت الآية علىٰ أنّ سيرة أتباعه ﷺ: الدعوة إلىٰ الله. ولا يخفىٰ أنّ الدعوة إلىٰ الله إنّما هي بنشر مطالب الدين، وإذاعة آدابه وتعليمه[1].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

يقول تعالىٰ لنبيه محمد ﷺ ﴿قُلْ﴾ للناس ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾ أي: طريقي، التي أدعو إليها وهي السبيل الموصلة إلىٰ الله، وإلىٰ دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق، والعمل به، وإيثاره وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ أيّ أحثّ الخلق والعباد، علىٰ الوصول إلىٰ ربهم، وأرغبّهم في ذلك، وأرغبهُم مما يبعدهم عنه، ومع هذا فأنا ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ من ديني أي: علىٰ علم ويقين، من غير شك ولا افتراء ولا مرية، ﴿أَنَا﴾ كذلك ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ يدعو إلىٰ الله، كما أدعو علىٰ بصيرة من أمره[2].

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ

(١) محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ٩/ ٢٩٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ عبدالرحمن السعدي ٣٦١.

كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴾[١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ هي: التوحيد.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ هي: لا إله إلا الله.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ..﴾ أي ومثل الذين يعبدون آلهة غير الله ﴿كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كمثل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده وهو لا يناله أبداً بيده، فكيف يبلغ فاه؟.

ومعنى هذا الكلام: أنّ الذي بيسط يده إلى الماء إمّا قابضاً وإمّا متناولاً له من بعد، كما أنّه لا ينتفع بالماء الذي لم يصل إلى فيه الذي جعله محلاً للشرب، فكذلك هؤلاء المشركون، الذين يعبدون مع الله إلهاً غيره، لا ينتفعون به أبداً في الدينا ولا في الآخرة[٢].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿لَهُ﴾ أي: لله وحده ﴿دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ وهي: عبادته وحده لا شريك له، وإخلاص دعاء العبادة، ودعاء المسألة له تعالى، أي: هو الذي ينبغي أن يصدق له الدعاء، والخوف، والرجاء، والحبّ، والرغبة، والرهبة، والإنابة، لأن ألوهيته هي الحق، وألوهية غيره باطلة، وتشبيه دعاء الكافرين لغير الله

---

(١) سورة الرعد، آية: ١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٥٥٦ ـ ٥٥٧.

بالذي بسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه من أحسن الأمثلة، فإنّ ذلك تشبيه بأمر محال، فكما أنّ هذا محال، فالمشبه به محال، والتعليق على المحال من أبلغ ما يكون في نفي الشيء[١].

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قصّ الله سبحانه علينا خبر قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الأمم المكذبة للرسل ممّا لا يحصي عددهم إلاّ الله عز وجل ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالحجج والدلائل الواضحات الباهرات القاطعات ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ قيل: معناه أنّهم أشاروا إلى أفواه الرسل عليهم الصلاة والسلام يأمرونهم بالسكوت عنهم لما دعوهم إلى الله عز وجل، وقيل: بل وضعوا أيديهم على أفواههم تكذيباً لهم، وقيل: بل هو عبارة عن سكوتهم عن جواب الرسل[٣].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

يقول تعالى مخوفاً عباده بما أحله بالأمم المكذبة حين جاءتهم الرسل، فكذبوهم، فعاقبهم بالعقاب العاجل، الذي رآه الناس وسمعوه فقال: ﴿أَلَمْ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٣٦٩.
(٢) سورة إبراهيم، آية: ٩.
(٣) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٥٧٦.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ وقد ذكر الله تعالىٰ قصصهم في كتابه، وبسطها، ﴿وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ من كثرتهم وكون أخبارهم اندرست، فهؤلاء كلهم ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالأدلة الدالة علىٰ صدق ما جاؤوا به، فلم يرسل الله رسولاً إلاّ آتاه من الآيات ما يؤمن علىٰ مثله البشر، فحين أتتهم رسلهم بالبينات لم ينقادوا لها، بل استكبروا عنها ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: لم يؤمنوا بما جاؤوا به، ولم يتفوّهوا بشيء مما يدل علىٰ الإيمان[1].

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالىٰ عمّا خاطب به إبليس أتباعه بعدما قضىٰ الله بين عباده، فأدخل المؤمنين الجنات، وأسكن الكافرين الدركات، فقام فيهم إبليس يومئذ خطيباً يزيدهم حزنا إلىٰ حزنهم، وغبناً إلىٰ غبنهم، وحسرة إلىٰ حسرتهم، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ أي علىٰ ألسنة رسله، ووعدكم في اتّباعهم النجاة والسلامة، وكان وعداً حقاً وخبراً صدقاً، وأمّا أنا فوعدتكم

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٣٧٦.
(٢) سورة إبراهيم، آية: ٢٢.

فأخلفتكم، وما كان لي دليل فيما دعوتكم إليه، ولا حجة فيما وعدتكم به، فلا تلوموني لأنّ الذنب لكم؛ لكونكم خالفتم الحجج واتبعتموني بمجرد ما دعوتكم إلىٰ الباطل(١).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

مصير الشيطان في النهاية أن يقول: هذه نهاية ما عندي أني دعوتكم إلىٰ مرادي، وزينته لكم فاستجبتم لي، اتباعا لأهوائكم وشهواتكم، فإذا كان الحال بهذه الصورة فلا تلوموني بل لوموا أنفسكم لأنكم السبب، وعليكم المدار في موجب العقاب(٢).

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(٣).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالىٰ آمراً رسوله محمداً ﷺ أن يدعو الخلق إلىٰ الله بالحكمة، ومن احتاج منهم إلىٰ مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب(٤).

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ أي: بالمقالة المحكمة، وهو الدليل الموضّح

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٥٨١.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٣٧٩.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٦٥٢.

للحق، المزيح للشبهة ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ أي: العبر اللطيفة، والوقائع المخيفة ليحذروا بأسه تعالىٰ ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: جادل معانديهم بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة، من الرفق واللين وحسن الخطاب من غير عنف، فإن ذلك أبلغ في تسكين لهبهم، وينبغي الإنصاف في المناظرة واتباع الحق، والرفق والمداراة علىٰ وجه يظهر منه أنّ القصد إثبات الحق وإزهاق الباطل، وأن لا غرض سواه.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أي: عليك بالبلاغ والدعوة بالصفة المبينة، فلا تذهب نفسك علىٰ من ضل منهم حسرات، فإنه ليس عليك هداهم، لأنه هو أعلم بمن يبقىٰ علىٰ الضلال وبمن يهتدي إليه، فيجازي كلاً منهما بما يستحقه[1].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم، إلىٰ سبيل ربك المستقيم، المشتمل علىٰ العلم النافع، والعمل الصالح ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ أي: كل أحد علىٰ حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده.

ومن الحكمة: الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبدأة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلىٰ الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتمّ، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة وإلاّ فينتقل معه إلىٰ الدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

إمّا بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار

---

(١) محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ١٠/ ١٧٧.

وتعدادها، وإمّا بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به، وإمّا بذكر ما أعدّ الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل، وما أعدّ للعاصين من العقاب العاجل والآجل، فإن كان المدعو يرىٰ أنّ ما هو عليه حق، أو كان داعية إلىٰ باطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أوعىٰ لاستجابته عقلاً ونقلاً، ومن ذلك: الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلىٰ حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلىٰ خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلىٰ الحق لا المغالبة ونحوها[١].

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا** ﴾[٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالىٰ: وأي عباد الله أظلم ممن ذكّر بآيات الله فأعرض عنها، أي تناساها وأعرض عنها ولم يصغ لها، ولا ألقىٰ إليها بالاً، ﴿**وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ**﴾ من الأعمال السيئة والأفعال القبيحة ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً**﴾ أي: أغطية وغشاوة ﴿**أَن يَفْقَهُوهُ**﴾ أي لئلا يفهموا هذا القرآن والبيان ﴿**وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا**﴾ أي صمماً معنوياً عن الرشاد[٣].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٤٠٤.

(٢) سورة الكهف، آية: ٥٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٣/ ١٠٢.

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

يقول تعالىٰ: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ لأن الذي يرجىٰ أن يجيب الداعي للهدىٰ من ليس عالماً، وأمّا هؤلاء الذين أبصروا ثمّ عموا، ورأوا طريق الحق فتركوه، وطريق الضلال فسلكوه، وعاقبهم الله بإقفال القلوب والطبع عليها، فليس في هدايتهم حيلة ولا طريق، وفي هذه الآية: من التخويف لمن ترك الحق بعد علمه أن يحال بينهم وبينه، ولا يتمكن منه بعد ذلك ما هو أعظم مرهب وزاجر عن ذلك(١).

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالىٰ أنه جعل لكل قوم منسكاً، يعني لكل أمة نبي منسكاً، وأصل المنسك في كلام العرب: هو الموضع الذي يعتاده الإنسان ويتردد إليه(٣).

وقال القاسمي رحمه الله:

﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: اثبت علىٰ دينك ثباتاً لا يطمعون أن يخدعوك عنه.

أو معناه: ثابر علىٰ الدعوة إلىٰ ما أمرت به، فلا تضرّك منازعتهم وعلىٰ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٤٣٠ ـ ٤٣١.
(٢) سورة الحج، اية: ٦٧.
(٣) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٣/ ٢٥٨.

الكل اتباعك، وعدم مخالفتك، لاستقرار الأمر على شرعتك، لأنّها الطريق القويم[١].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

يخبر تعالىٰ أنه جعل لكل أمة منسكاً أي: معبداً وعبادة، قد تختلف في بعض الأمور مع اتفاقها على العدل والحكمة ﴿فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ﴾ أي: لا ينازعك المكذبون لك ويعترضوا على بعض ماجئتهم به بعقولهم الفاسدة، بل حافظ على الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة سواء اعترض المعترضون أم لا، وأنه لا ينبغي أن يثنيك عن الدعوة شيء لأنك على هدىٰ مستقيم[٢].

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٣].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنّ رسول الله ﷺ أتاه فيما يرىٰ النائم ملكان، فقعد أحدهما عند رجليه، والآخر عند رأسه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: اضرب مثل هذا ومثل أمته، فقال: إنّ مثلَه ومثلَ أمته كمثل قوم سَفْر انتهوا إلى رأس مفازة، فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به، فبينما هم كذلك إذْ أتاهم رجل في حلّة حِبَرَة، فقال: أرأيتم إنْ وردتُ بكم رياضاً

(١) محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ١٢/ ٦١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٤٩٤.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٧٣.

مُعْشبةً وحياضاً رُوَاء أتتَّبعوني؟ فقالوا: نعم، قال: فانطلق بهم فأوردهم رياضاً مُعْشبة وحياضاً رُوَاء، فأكلوا وشربوا وسمنوا، فقال لهم: ألم ألقَكم على تلك الحال فجعلتم لي إنْ وردت بكم رياضاً معشبة وحياضاً رواء أن تتبعوني؟ فقالوا: بلى، قال: فإنّ بين أيديكم رياضاً أعْشَب من هذه، وحياضاً هي أروى من هذه، فاتبعوني، قال: فقالت طائفة: صدق والله لنتبعنّه، وقالت طائفة: قد رضينا بهذا نقيمُ عليه»[1].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

ذكر الله سبحانه في هذه الآية وما قبلها من آيات: كل سبب موجب للإيمان، وذكر الموانع، وبين فسادها، واحداً بعد واحد، فذكر من الموانع أنّ قلوبهم في غمرة وأنهم لم يدبروا القول، وأنهم اقتدوا بآبائهم، وأنّهم قالوا: برسولهم جنّة، وذكر من الأمور الموجبة لإيمانهم تدبر القرآن وتلقّي نعمة الله بالقبول، ومعرفة حال محمد ﷺ وكمال صدقه وأمانته، وأنه لا يسألهم أجراً، وإنما سعيه لنفعهم ومصلحتهم، وأنّ الذي يدعوهم إليه، صراط مستقيم وسهل على العالمين لاستقامته، موصل إلى المقصود من قرب، حقيقية سمحة في العمل، فدعوتك إياهم إلى الصراط المستقيم توجب لمن يريد الحق أن يتبعك لأنه مما تشهد العقول والفطر بحسنه وموافقته للمصالح[2].

★ ★ ★

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٢٦٧ رقم ٢٤٠٢، وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح ٤/ ١٢٩، وانظر: تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٣/ ٢٧٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٥٠٥.

قال الله تعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالىٰ عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله، الذين لا يبغون ديناً سوىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقال ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي سمعاً وطاعة، ولهذا وصفهم تعالىٰ بالفلاح، وهو نيل المطلوب والسلامة من المرهوب(٢).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

حقيقة المؤمنين الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم أنهم إذا دعوا إلىٰ الله ورسوله ليحكم بينهم، سواء وافق أهواءهم أو خالفها ﴿أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي: سمعنا حكم الله ورسوله، وأجبنا من دعانا إليه وأطعنا طاعة تامة مسالمة من الحرج ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ حصر الفلاح فيهم؛ لأن الفلاح: الفوز بالمطلوب والنجاة من المكروه، ولا يفلح إلاّ من حكم الله ورسوله، وأطاع الله ورسوله(٣).

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ ﴾(٤).

(١) سورة النور، آية: ٥١.

(٢) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٣/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٥٢٠ ـ ٥٢١.

(٤) سورة القصص، آية: ٤١.

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

أي: جعلنا فرعون وملأه من الأئمة الذين يقتدىٰ بهم، ويمشىٰ خلفهم إلىٰ دار الخزي والشقاء ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ﴾ من عذاب الله، فهم أضعف شيء عن دفعه عن أنفسهم، وليس لهم دون الله من ولي ولا نصير[1].

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

بل أبلغها وأنفذها، ولا تبال بمكرهم، ولا يخدعنك عنها، ولا تتبع أهواءهم.

﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: اجعل الدعوة إلىٰ ربك منتهىٰ قصدك، وغاية عملك.

فكل من خالف ذلك فارفضه، من رياء، أوسمعة، أو موافقة أغراض أهل الباطل، فإنّ ذلك داع إلىٰ الكون معهم ومساعدتهم علىٰ أمرهم[3].

★ ★ ★

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٥٦٦.

(٢) سورة القصص، آية: ٨٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ عبدالرحمن السعدي ٥٧٥.

قال الله تعالىٰ:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾(١).

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

وإذا قيل للمشركين اتبعوا ما أنزل الله علىٰ أيدي رسله، فإنه الحق، وبينت لهم أدلته الظاهرة، قالوا معارضين ذلك: ﴿ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ فلا نترك ما وجدنا عليه آباءنا لقول أحد، كائناً من كان، قال تعالىٰ في الردّ عليهم وعلىٰ آبائهم: ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ فاستجاب له آباؤهم ومشوا خلفه، وصاروا من تلاميذ الشيطان، واستولت عليهم الحيرة.

فهل هذا موجب لاتباعهم ومشيهم علىٰ طريقتهم، أم ذلك يرهبهم من سلوك سبيلهم، وينادي علىٰ ضلالهم، وضلال من تبعهم.

وليس دعوة الشيطان لآبائهم ولهم محبة لهم ومودة، وإنّما ذلك عداوة لهم ومكر لهم، وبالحقيقة أتباعه من أعدائه الذين تمكن منهم، وظفر بهم، وقرّت عينه باستحقاقهم عذاب السعير بقبول دعوته(٢).

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾(٣).

(١) سورة لقمان، آية: ٢١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٥٩٨.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٤٦.

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

وصف نبينا محمد ﷺ بخمس صفات، هي:

كونه شاهداً، ومبشراً، ونذيراً، وداعيا إلىٰ الله، وسراجاً منيراً.

فقد أرسل الله محمداً ﷺ يدعو الخلق إلىٰ ربهم ويشوقهم لكرامته ويأمرهم بعبادته التي خلقوا لها، وذلك يستلزم استقامته علىٰ ما يدعو إليه، وذكر تفاصيل ما يدعو إليه، بتعريفهم لربهم بصفاته المقدسة، وتنزيهه عمّا لا يليق بجلاله، وذكر أنواع العبودية، والدعوة إلىٰ الله بأقرب طريق موصل إليه، وإعطاء كل ذي حق حقه، وإخلاص الدعوة إلىٰ الله، لا إلىٰ نفسه وتعظيمها، كما قد يعرض ذلك لكثير من النفوس في هذا المقام، وذلك كله بإذنه تعالىٰ له في الدعوة وأمره وإرادته وقدره.

وكون محمد ﷺ سراجاً منيراً يقتضي: أنّ الخلق في ظلمة عظيمة، لا نور يهتدىٰ به في ظلماتها، ولا علم يستدل به في جهاتها، حتىٰ جاء الله بهذا النبي الكريم فأضاء الله به تلك الظلمات، وعلم به من الجهالات، وهدىٰ به ضلاّلاً إلىٰ الصراط المستقيم(١).

* * *

قال الله تعالىٰ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾(٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٦١٤ ـ ٦١٥.

(٢) سورة غافر، آية: ١٠.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالىٰ مخبراً عن الكفار إنّهم ينادون يوم القيامة وهم في غمرات النيران يتلظون، وذلك عندما باشروا من عذاب الله تعالىٰ ما لا قبل لأحد به، فمقتوا عند ذلك أنفسهم وأبغضوها غاية البغض بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة التي كانت سبب دخولهم إلىٰ النار، فإن مقت الله عز وجل لأهل الضلالة حين عرض عليهم الإيمان في الدنيا فتركوه وأبوا أن يقبلوه أكبر من مقتهم أنفسهم حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة(١).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

يخبر تعالىٰ عن الفضيحة والخزي الذي يصيب الكافرين، وسؤالهم الرجعة والخروج من النار، وامتناع ذلك عليهم، وتوبيخهم، فإنّ الكفار آنذاك يقرّون أنّهم يستحقون دخول النار لما فعلوا من الذنوب والأوزار، فيمقتون أنفسهم لذلك أشدَّ المقت، ويغضبون عليها غاية الغضب، فالرسل وأتباعهم دعوا هؤلاء إلىٰ الإيمان وأقاموا لهم البينات، ممّا يتبيّن به الحق، فكفروا وزهدوا في الإيمان الذي خلقوا له، وخرجوا من رحمة الله الواسعة(٢).

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٤/ ٧٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٦٧٩.

(٣) سورة غافر، آية: ٤١ ـ ٤٣.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول لهم مؤمن آل فرعون ـ ذلكم الرجل الصالح ـ : ما بالي أدعوكم إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له، وتصديق رسوله ﷺ الذي بعثه ﴿**تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ**﴾ أي: علىٰ جهل بلا دليل ﴿**وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ**﴾ أي هو في عزّته وكبريائه يغفر ذنب من تاب إليه ﴿**لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾ أي: حقاً ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة أي: لا يجيب داعيه لا في الدنيا ولا في الآخرة[(١)].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

إنّ ما يدعو إليه الكفار لا يستحق الدعوة إليه والحث علىٰ اللجأ إليه في الدنيا ولا في الآخرة، لعجزه ونقصه، وأنه لا يملك نفعاً ولا ضرّاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ﴿**وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ**﴾ تعالىٰ فسيجازي كلّ عامل بعمله ﴿**وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾ وهم الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم بالتجرؤ علىٰ ربهم بمعاصيه والكفر به[(٢)].

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ**﴾[(٣)].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالىٰ المشركين بأنهم قالوا: ﴿**قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ**﴾ أي في غلف مغطاة

---

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٤/ ٨٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٦٨٤ ـ ٦٨٥.

(٣) سورة فصلت، آية: ٥.

﴿مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ أي: صمم عمّا جئتنا به ﴿وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ فلا يصل إلينا شيء مما تقوله ﴿فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ أي: اعمل أنت على طريقتك ونحن على طريقتنا لا نتبعك[1].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

أبان هؤلاء المعرضون عن قبول الدعوة عدم انتفاعهم به، بسدّ الأبواب الموصلة إليه، فقد أظهروا الإعراض عنه من كل وجه، وأظهروا بغضه، والرضا بما هم عليه؛ ولهذا قالوا: ﴿فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ أي: كما رضيت بالعمل بدينك، فإننا راضون كل الرضا بالعمل في ديننا، وهذا من أعظم الخذلان، حيث رضوا بالضلال عن الهدى، واستبدلوا الكفر بالإيمان، وباعوا الآخرة بالدنيا[2].

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[3].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي دعا عباد الله إليه ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: هو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه، ولغيره

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٤/ ٩٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٦٩١.

(٣) سورة فصلت، آية: ٣٣.

لازم ومتعد، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير، ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى، وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد، ورسول الله ﷺ أولى الناس بذلك.

وقال الحسن البصري رحمه الله حينما تلا هذه الآية: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحبّ أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته وقال إنني من المسلمين[1].

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله:

أي: لا أحد أحسن مقالاً ممن دعا الناس إلى عبادته تعالى، وكان من الصالحين المؤتمرين، والمسلمين وجوههم إليه تعالى في التوحيد.

وفي الآية عدة لطائف:

الأولى: قدم الدعوة إلى الحق والتكميل لكونه أشرف المراتب، ولاستلزامه الكمال العلمي والعملي، وإلاّ لما صحت الدعوة.

الثانية: الإشارة إلى ترغيبه ﷺ في الإعراض عن المشركين، وعما كانوا يقولونه من اللغو في التنزيل، وإرشاده إلى المواظبة على التبليغ والدعوة ببيان أنّ ذلك أحسن الطاعات ورأس العبادات، فمراتب السعادات، اثنان: كامل وأكمل، أمّا الكامل: فهو أن يكتسب من الصفات الفاضلة ما لأجلها يصير كاملاً في ذاته، فإذا فرغ من هذه الدرجة اشتغل بعدها بتكميل الناقصة، فقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ إشارة إلى المرتبة الأولى، وهي

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٤/ ١٠٥ ـ ١٠٦.

اكتساب الأحوال التي تفيد كمال النفس في جوهرها، فإذا حصل الفراغ من هذه المرتبة، وجب الانتقال إلى المرتبة الثانية، وهي: الانتقال بتكميل الناقصين، وذلك إنّما يكون بدعوة الخلق إلى الدين الحق، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾.

الثالثة: يدخل في الآية كل من دعا إلى الله بطريق من الطرق المشروعة، وسبيل من السبل المأثورة، لأنّ الدعوة الصحيحة هي الدعوة النبوية، ثم ما انتهج منهجها في الصدع بالحق وإيثاره على الخلق[1].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولاً، أي: كلاماً وطريقة وحالة ﴿مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها، والحث عليها وتحسينها مهما أمكن، والزجر عمَّا نهى الله عنه، و تقبيحه بكل طريق يوجب تركه. خصوصاً من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه، ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عمّا يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن الدعوة إلى الله: تحبيبه إلى عباده بذكر تفاصيل نعمه، وسعة جوده، وكمال رحمته، وذكر أوصاف كماله، ونعوت جلاله.

ومن الدعوة إلى الله: الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والحث على ذلك بكل طريق موصل إليه، ومن ذلك: الحث على مكارم الأخلاق، والإحسان إلى عموم الخلق، ومقابلة المسيء

(١) محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام وبرّ الوالدين.

ومن ذلك: الوعظ لعموم الناس في أوقات المواسم، والعوارض، والمصائب بما يناسب ذلك الحال، إلى غير ذلك مما لا تنحصر أفراده، بما تشمله الدعوة إلى الخير كله، والترهيب من جميع الشرّ[1].

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[2].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى لهذه الأمة: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام، وآخرهم وهو محمد ﷺ، ثم ذكر من بين ذلك أولي العزم إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم عليهم السلام.

﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ أي وصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي شقّ عليهم وأنكروا ما تدعوهم إليه ـ يا محمد ـ من التوحيد ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ أي: هو الذي يقدّر الهداية لمن يستحقها، ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٦٩٤ ـ ٦٩٥.
(٢) سورة الشورى، آية: ١٣.

الرشد[١].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

هذه أكبر منَّة أنعم الله بها على عباده أن شرع لهم من الدين خير الأديان وأفضلها، وأزكاها وأطهرها، دين الإسلام الذي شرعه الله للمصطفين المختارين من عباده، بل شرعه الله لخير الخيار، وصفوة الصفوة، وهم أولو العزم من المرسلين، المذكورون في هذه الآية، أعلى الخلق درجة وأكملهم من كل وجه، فالدين الذي شرعه الله لهم، لا بدّ أن يكون مناسباً لأحوالهم، موافقاً لكمالهم، بل إنّما كملهم الله واصطفاهم بسبب قيامهم به، فلولا الدين الإسلامي ما ارتفع أحدٌ من الخلق، فهو روح السعادة، وقطب رحى الكمال، وهو ما تضمنه هذا الكتاب الكريم، ودعا إليه من التوحيد والأعمال، والأخلاق والآداب.

﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ أي: آمركم أن تقيموا جميع شرائع الدين، أصوله وفروعه، تقيمونه بأنفسكم، وتجتهدون في إقامته على غيركم، وتعاونون على البر والتقوى ولا تعاونون على الإثم والعدوان. ﴿ولا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ أي: ليحصل منكم اتفاق على أصول الدين وفروعه، واحرصوا على أن لا تفرقكم المسائل، وتحزبكم أحزاباً وشيعاً، يعادي بعضكم بعضاً مع اتفاقكم على أصل دينكم.

ومن أنواع الاجتماع على الدين وعدم التفرق فيه: ما أمر به الشارع من الاجتماعات العامة، كاجتماع الحج والأعياد، والجُمع والصلوات الخمس والجهاد، وغير ذلك من العبادات التي لا تتم ولا تكمل إلاّ بالاجتماع لها

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٤/ ١١٤.

وعدم التفرق.

﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: شقّ عليهم غاية المشقة، حيث دعوتهم إلى الإخلاص لله وحده[1].

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[1].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات، كل منها منفصلة عن التي قبلها، حكم برأسها، قالوا: ولا نظير لها سوى آية الكرسي فإنها أيضاً عشرة فصول كهذه.

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ﴾ أي فللذي أوحينا إليك من الدين الذي وصينا به جميع المرسلين قبلك، أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولي العزم وغيرهم، فادع الناس إليه.

﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ أي: واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى لما أمركم الله عز وجل ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ يعني المشركين فيما اختلفوا فيه وكذبوه وافتروه من عبادة الأوثان. ﴿وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ﴾ أي:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٧٠٠.

(٢) سورة الشورى، آية: ١٥.

صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء، لا تفرّق بين أحد منهم. ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ أي في الحكم كما أمرني الله ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ أي: هو المعبود لا إله غيره، فنحن نقرّ بذلك اختياراً، وأنتم إن لم تفعلوه اختياراً فله يسجد من في العالمين طوعاً واختياراً ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ أي نحن برآء منكم ﴿لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ أي: لا خصومة، وقيل: إنّ ذلك قبل نزول آية السيف، وهذا متجه لأن هذه الآية مكية، وآية السيف بعد الهجرة ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ يوم القيامة ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع والمآب يوم الحساب(١).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ﴾ أي: فللدين القويم والصراط المستقيم، الذي أنزل الله به كتبه، وأرسل رسله، فادع إليه أمتّك وحضهم عليه، وجاهد عليه من لم يقبله ﴿وَاسْتَقِمْ﴾ بنفسك ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ أي: استقامة موافقة لأمر الله، لا تفريط ولا إفراط، بل امتثالاً لأوامر الله واجتناباً لنواهيه، على وجه الاستمرار على ذلك، فأمره بتكميل نفسه بلزوم الاستقامة، وبتكميل غيره بالدعوة إلى ذلك، ومن المعلوم: أنّ أمر الرسول ﷺ أمرٌ لأمّته إذا لم يرد تخصيص له.

﴿وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: أهواء المنحرفين عن الدين من الكفرة أو المنافقين، إمّا باتباعهم على بعض دينهم، أو بترك الدعوة إلى الله، أو بترك الاستقامة، فإنك إن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين ﴿وَقُلْ﴾ عند جدالهم ومناظرتهم: ﴿آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ﴾

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٤/ ١١٥.

أي: لتكن مناظرتك لهم مبنية على هذا الأصل العظيم، الدال على شرف الإسلام وجلالته، وهيمنته على سائر الأديان، وأنّ الدين الذي يزعم أهل الكتاب أنهم عليه جزء من الإسلام، وفي هذا: إرشاد إلى أنّ أهل الكتاب إن ناظروا مناظرة مبنية على الإيمان ببعض الكتب أو ببعض الرسل دون غيره، فلا يسلّم لهم ذلك، لأنه الكتاب الذي يدعون إليه، والرسول الذي ينتسبون إليه، من شرطه أن يكون مصدقاً بهذا القرآن، وبمن جاء به، فكتابنا، ورسولنا، لم يأمرانا إلاّ بالإيمان بموسى وعيسى عليهما السلام، وبالتوراة والإنجيل التي أخبر بها، وصدق بها، وأخبر أنّها له ومقرّة بصحته.

وأمّا مجرّد التوراة والإنجيل، وموسى وعيسى الذين لم يوصفوا لنا، ولم يوافقوا لكتابنا، فلم يأمرنا بالإيمان بهم.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ في الحكم فيما اختلفتم فيه، فلا تمنعني عداوتكم وبغضكم يا أهل الكتاب من العدل بينكم، ومن العدل في الحكم بين أهل الأقوال المختلفة من أهل الكتاب وغيرهم، أن يقبل ما معهم من الحق، ويرد ما معهم من الباطل.

﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ أي: هو ربّ الجميع لستم بأحق به منّا ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ من خير وشرّ ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ أي: بعدما تبينت الحقائق، واتضح الحق من الباطل، والهدى من الضلال، لم يبق للجدل والمنازعة محل، لأن المقصود من الجدال إنّما هو بيان الحق من الباطل، ليهتدي الراشد ولتقوم الحجة على الغاوي[1].

★ ★ ★

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٧٠١.

قال الله تعالىٰ:

﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾(١).

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

يحكي القرآن الكريم موقف أولئك النفر من الجنّ الذين أنصتوا واستمعوا إلىٰ القرآن وتأثروا به، فإنهم يأمرون أقوامهم ويقولون: ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴾ أي: الذي لايدعو إلاّ إلىٰ ربه، لا يدعوكم إلىٰ غرض من أغراضه، ولا هوىٰ، وإنّما يدعوكم إلىٰ ربكم ليثيبكم ويزيل عنكم كل شرّ ومكروه، ولهذا قالوا: ﴿وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ وإذا أجارهم من العذاب الأليم، فما ثمّ بعد ذلك إلاّ النعيم، فهذا جزاء من أجاب داعي الله.

﴿وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ ﴾ فإنّ الله علىٰ كل شيء قدير، فلا يفوته هارب، ولا يغالبه مغالب، ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ وأيّ ضلال أبلغ من ضلال من نادته الرسل، ووصلت إليه النذر بالآيات البينات، والحجج المتواترات، فأعرض واستكبر(٢).

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلامِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي

---

(١) سورة الأحقاف، آية: ٣١ـ٣٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٧٢٨.

القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

أي: لا أحد أظلم ممن يفتري الكذب على الله ويجعل له أنداداً وشركاء وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص[٢].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بهذا أو غيره، والحال أنه لا عذر له، وقد انقطعت حجته لأنّه ﴿يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلامِ﴾ وتبين له براهينه وبيِّناته ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين لا يزالون على ظلمهم مستقيمين، لا تردّهم عنه موعظة، ولا يزجرهم بيان ولا برهان.

خصوصاً هؤلاء الظلمة القائمين بمقابلة الحق ليردوه، ولينصروا الباطل[٣].

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾[٤].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر الله تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام أنه اشتكى إلى ربه

---

(١) سورة الصف، آية: ٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٤/ ٣٨١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٧٩٧.

(٤) سورة نوح، آية: ٥ ـ ٨.

عز وجل ما لقي من قومه، وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، وما بيّن لقومه ووضح لهم ودعاهم إلى الرشد والسبيل الأقوم فقال ﴿إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً﴾ أي: لم أترك دعاءهم في ليل ولا نهار امتثالاً لأمرك وابتغاء لطاعتك ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَاراً﴾ أي كلما دعوتهم ليقتربوا من الحق فرّوا منه وحادوا عنه ﴿رَبِّ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ أي: سدّوا آذانهم لئلا يسمعوا ما أدعوهم إليه ﴿وَأَصَرُّوا﴾ أي استمروا على ما هم فيه من الشرك والكفر العظيم الفظيع ﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً﴾ أي: واستنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً﴾ أي: جهرة بين الناس[1].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

قال نوح عليه السلام شاكراً لربه سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَاراً﴾ أي: نفوراً عن الحق وإعراضاً، فلم يبق لذلك فائدة، لأن فائدة الدعوة أن يحصل جميع المقصود أو بعضه. ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ أي: لأجل أن يستجيبوا، فإذا استجابوا غفرت لهم، وهذا محض مصلحتهم، ولكن أبوا إلاّ تمادياً على باطلهم ونفوراً عن الحق.

﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ حذر سماع ما يقول لهم نبيهم نوح عليه السلام. ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ أي: تغطوا بها غطاء يغشاهم، بعداً عن الحق، وبغضاً له. ﴿وَأَصَرُّوا﴾ على كفرهم وشرّهم ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾ على الحق

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٤/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩.

﴿اسْتِكْبَارًا﴾ فشرّهم ازداد وخيرهم بعد. ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ أي: بمسمع منهم كلهم(١).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٨٢٣.

المبحث الثاني

الدروس الدعوية المستنبطة من آيات الدعوة

١ـ بيان أنّ المشركين يقومون بالدعوة إلىٰ باطلهم، وأنَّ نهاية مصيرهم إلىٰ النار ـ عياذاً بالله من حالهم ـ.

٢ـ بيان أنّ الله سبحانه يدعو عباده إلىٰ طريق الاستقامة، والتي تؤول بصاحبها إلىٰ الجنة.

٣ ـ شحذ همم الدعاة إلىٰ الله، وسبقهم غيرهم من دعاة الباطل إلىٰ اجتذاب المدعوين إلىٰ ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.

٤ـ مشروعية تقديم الدعوة لأهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ، وخطورة تركهم علىٰ ما هم فيه من الانحراف والضلالة.

٥ـ وجوب تنصيب أمة مؤهلة من الناس، تقوم بواجب الدعوة إلىٰ الله.

٦ـ إنَّ شريعة الإسلام لا تقتصر في دعوتها علىٰ شيء خاص قاصر، بل تدعو إلىٰ كل خير وإلىٰ كل معروف، وتنهىٰ عن كل شرّ وعن كل منكر.

٧ـ إنّ الفلاح منحصر في الدعاة إلىٰ الله، وفي الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، لكونهم لم يقصروا الخير علىٰ أنفسهم، بل ساقوه إلىٰ غيرهم.

٨ـ إصرار أهل الباطل في تخذيلهم لعامة المسلمين من الاستمرار علىٰ الديانة القويمة بكل الوسائل.

٩ـ خطورة حال من استهوته الشياطين، وزيّنت له الباطل، فإنه سيظل حيراناً بلا دليل.

١٠ـ إنّ ديدن المسلم المهتدي مهما حصل له من العوارض والمؤثرات أن

يتمسَّك بطريق الهداية والاستقامة.

١١ـ وجوب الاستجابة لأوامر الله تعالىٰ، ولأوامر رسوله ﷺ، لأنّ في الاستجابة لأوامرها حياة القلب وسعادته في الدارين.

١٢ـ باب التوبة مفتوح، وسبيل الله واحد مؤدّاه إلىٰ دار السلام من كل مكروه.

١٣ـ إنّ الله تعالىٰ يختص بعضاً من عباده بطريق الاستقامة، ويوفّقهم إلىٰ سلوكها، ويمنحهم فضله وكرمه وإحسانه ـ نسأل الله العظيم من فضله.

١٤ـ هلاك الأمم السابقين الذين يقلّدون آباءهم علىٰ ضلالهم، ويتعصّبون في ذلك، ولا يستخدمون عقولهم في معرفة توافق ما نادىٰ به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والفطر السويّة، والعقول السليمة.

١٥ـ صبر الداعية علىٰ الأذىٰ الذي يصيبه في الدنيا ما دام في ذلك نجاة له في الآخرة من عذاب يوم القيامة.

١٦ـ لجوء الداعية دائماً إلىٰ الله، وخاصة عند الكربات والشدائد، والثقة في نصر الله سبحانه.

١٧ـ أتباع الرسول ﷺ هم الدعاة إلىٰ الله.

١٨ـ ضرورة تحلي الدعاة بالبصيرة في دعوتهم ليحصلوا علىٰ الثمار اليانعة.

١٩ـ بيان أنّ الرسل عليهم الصلاة والسلام قاموا بدعوة أقوامهم بالبينات، ومع ذلك بقي في أقوامهم كفرة لم يقبلوا منهم الدعوة، ولم يرد الله هدايتهم لحكمة يراها الله سبحانه.

٢٠ـ براءة شيخ دعاة الباطل ـ إبليس ـ من أتباعه في نهاية المطاف، بل ولومه

لهم على اتّباعهم له.

٢١ـ أمر الله تعالى الرسول الكريم ﷺ وأمّته أن يقوموا بالدعوة، وسلوك الأسلوب المناسب مع المدعو من الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى عند الحاجة لذلك، وعدم انتظار نتائج الهداية، فإنّ المطلوب من الداعية هداية الدلالة والإرشاد، أمّا هداية التوفيق والإلهام فهي من اختصاص الخالق جلّ جلاله، وذلك فضل من الله تعالى يهبه لمن شاء من عباده.

٢٢ـ الويل والهلاك لمن سيقت له الدعوة بشكل مقبول لكنّه جحدها، وأعرض عن قبولها.

٢٣ـ أهمية ثبات الداعية على المبدأ الذي يدعو إليه، لأنه يعتقد أنّه على هدى مستقيم.

٢٤ـ ضرورة إيمان الداعية العميق بفكرته، مهما تنكّس المتنكّسون، وقلَّ المهتدون.

٢٥ـ استجابة الداعية لأحكام الله، وسمعه وطاعته لأوامر الله، لأنّ ذلك أدعى في تأثيره على المدعوّين، وقبولهم لما يدعو إليه.

٢٦ـ دعاة الضلالة في الدنيا، مهما بلغوا من التجاوز والطغيان، هم أئمة النار يوم القيامة.

٢٧ـ وصف داعية الإسلام محمد ﷺ بأنه سراج منير، خاصة أنه بعث على حين فترة من الرسل، وازدادت حاجة الناس إلى من يردّهم إلى فطرهم السليمة، وديانتهم القويمة.

٢٨ـ بيان أحوال أهل النار وعذابهم حينما كفروا بالله تعالىٰ، ولم يقبلوا دعوة التوحيد الخالص.

٢٩ـ بروز المحاجة العقلية لمؤمن آل فرعون في دعوته لقومه وإثارة هذا الإحساس لديهم.

٣٠ـ إنّ منهج الرافضين لدعوات الأنبياء واحد، حيث يشعرون أنّ في آذانهم صمماً ووقراً، وأنّ قلوبهم في أكنّة عن قبول الحق.

٣١ـ قول الدعاة وكلامهم وحديثهم أحسن القول والكلام والحديث، كيف لا، وهم يعرضون منهج الله للناس، بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين.

٣٢ـ اتفاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعواتهم علىٰ الائتلاف والجماعة، والنهي عن الافتراق والاختلاف.

٣٣ـ ضرورة مراجعة الداعية لحساباته، والتفكير في خبايا أموره، وإصلاح عورها بين فينة وأخرىٰ.

٣٤ـ إنّ قبول الحق غير محصور في الآدميين من الإنس، بل ذلك متعدٍّ إلىٰ الجنّ، وصلحاؤهم مطالبون بحمل نور الهدىٰ لأقوامهم، فإنّ الله سبحانه خلق الثقلين لعبادته.

٣٥ـ تعدّد أساليب الدعوة التي سلكها نوح عليه السلام في دعوته لقومه مثال ينبغي أن يحتذيه الدعاة لأقوامهم وأن لا يستعجلوا علىٰ مدعويهم.

الفصل الثاني
آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدروس المستنبطة منها

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول:

آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشروحها.

المبحث الثاني:

الدروس الدعوية المستنبطة من آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الأول

آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشروحها

قال الله تعالىٰ:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالىٰ: ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلىٰ الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأولئك هم المفلحون.

قال الضحاك: هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة، يعني المجاهدين والعلماء.

والمقصود من هذه الآية: أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً علىٰ كل فرد من الأمة بحسبه[2].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

إنّ السبب الأقوىٰ الذي يجعل المسلمين يتمكنون به من إقامة دينهم، بأن يتصدىٰ منهم طائفة يحصل فيها الكفاية ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ وهو الدين، أصوله، وفروعه، وشرائعه ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهو ماعرف حسنه شرعاً وعقلاً ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ وهو ماعرف قبحه شرعاً وعقلاً ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ المدركون لكل مطلوب، الناجون من كل مرهوب.

ويدخل في هذه الطائفة: أهل العلم والتعليم، والمتصدّون للخطابة،

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ١/ ٤١٨ ـ ٤١٩.

ووعظ الناس عموماً وخصوصاً، والمحتسبون الذين يقدمون بإلزام الناس بإقامة الصلوات، وإيتاء الزكاة، والقيام بشرائع الدين، وينهون عن المنكرات.

فكل من دعا الناس إلى خير على وجه العموم، أو على وجه الخصوص، أو قام بنصيحة عامة أو خاصة، فإنه داخل في هذه الآية الكريمة(١).

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٢).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال أبو هريرة رضي الله عنه: يعني خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام، والمعنى: أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس، ولهذا قال: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة.

والصحيح أنّ هذه الآية عامة في جميع الأمة كل قرن بحسبه، وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ١١٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد ﷺ، فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله، وبعثه الله بشرع كامل عظيم، لم يعطه نبي من قبله، ولا رسول من الرسل، فالعمل على منهاجه وسبيله يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه.

وقال قتادة رحمه الله: بلغنا أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجّها رأى من الناس دعة، فقرأ هذه الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ثم قال: من سرّه أن يكون من هذه الأمة فليؤدِّ شرط الله فيها[1].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

هذا تفضيل من الله لهذه الأمة بهذه الأسباب التي تميزوا بها وفاقوا بها سائر الأمم، وأنهم خير الناس للناس، نصحاً، ومحبةً للخير، ودعوةً وتعليماً، وإرشاداً، وأمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، وجمعاً بين تكميل الخلق، والسعي في منافعهم بحسب الإمكان، وبين تكميل النفس بالإيمان بالله، والقيام بحقوق الإيمان، وأن أهل الكتاب لو آمنوا بمثل ما آمنتم به لاهتدوا وكان خيراً لهم، ولكن لم يؤمن منهم إلاّ القليل، وأما الكثير منهم فهم فاسقون، خارجون عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، محاربون للمؤمنين، ساعون في إضرارهم بكل مقدورهم، ومع ذلك فلن يضرّوا إلاّ أذى باللسان، وإلاّ فلو قاتلوهم لولوا الأدبار ثم لاينصرون[2].

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ١/ ٤٢٠، ٤٢٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ١١٢ ـ ١١٣.

النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[١].

قال الشيخ القاسمي رحمه الله:

قيل في الحصر: الخير إما نفع جسماني وهو في: الأمر بالصدقة، أو روحاني، وهو في: الأمر بالمعروف، وإما دفع، وهو في: الإصلاح.

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٢].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

أي: لا خير في كثير مما يتناجىٰ به الناس ويتخاطبون. وإذا لم يكن فيه خير، فإمّا لا فائدة فيه كفضول الكلام المباح، وإما شرّ ومضرّة محضة، كالكلام المحرم بجميع أنواعه، ثم استثنىٰ تعالىٰ فقال: ﴿إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾، فالمعروف: هو الإحسان والطاعة وكل ماعرف في الشرع والعقل حسنه، وإذا أطلق الأمر بالمعروف من غير أن يقرن بالنهي عن المنكر، دخل فيه النهي عن المنكر، وذلك لأن ترك المنهيات من المعروف، وأيضاً لايتم فعل الخير، إلاّ بترك الشر، وأما عند الاقتران، فيفسر المعروف بفعل المأمور، والمنكر بترك النهي[٣].

ويمكن أن يقال: الخير إما نفع متعدّ من المأمور وهو الصدقة، أو لازم له

---

(١) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٢) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ١٦٥.

وهو المعروف، أو دفع ضرر متعدٍّ أو لازم له وهو: الإصلاح[١].

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالىٰ أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل فيما أنزله علىٰ داود نبيه عليه السلام، وعلىٰ لسان عيسىٰ بن مريم بسبب عصيانهم لله واعتدائهم علىٰ خلقه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لعن الذين كفروا من بني إسرائيل في التوراة والإنجيل، وفي الزبور وفي القرآن، ثم بيّن حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم فقال تعالىٰ: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، أي: كان لاينهىٰ أحدٌ منهم أحداً عن ارتكاب المآثم والمحارم، ثم ذمّهم علىٰ ذلك ليحذر أن يُرتكب مثل الذي ارتكبوه، فقال: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

وعن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم، فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم، وواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم علىٰ لسان داود وعيسىٰ بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس، فقال: لا والذي نفسي بيده، حتىٰ

(١) محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ٥/ ٤٥٤.
(٢) سورة المائدة، آية: ٧٨ ـ ٧٩.

تأطروهم على الحق أطرا)[1].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

ومن معاصي بني إسرائيل التي أحلّت بهم المثلات، وأوقعت بهم العقوبات، أنهم: ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: أنهم كانوا يفعلون المنكر، ولاينهى بعضهم بعضاً، فيشترك بذلك المباشر وغيره الذي سكت عن النهي عن المنكر مع قدرته على ذلك، وذلك يدل على تهاونهم بأمر الله، وأن معصيته خفيفة عليهم، فلو كان لديهم تعظيم لربهم لغاروا لمحارمه، ولغضبوا لغضبه، وإنما كان السكوت عن المنكر ـ مع الضرورة ـ موجباً للعقوبة، كما فيه من المفاسد العظيمة.

منها: أنّ مجرد السكوت فعل معصية، وإن لم يباشرها الساكت ـ فإنه كما يجب اجتناب المعصية ـ فإنه يجب الإنكار على مَنْ فعل المعصية.

ومنها: ماتقدم، أنه يدل على التهاون بالمعاصي وقلّة الاكتراث بها.

ومنها: أن ذلك يجرِّئ العصاة والفَسَقَة على الإكثار من المعاصي إذا لم يردعوا عنها، فيزداد الشرّ، وتعظم المصيبة الدينية والدنيوية، ويكون لهم الشوكة والظهور، ثم بعد ذلك يضعف أهل الخير عن مقاومة أهل الشر حتى لايقدرون على ما كانوا يقدرون عليه أولاً.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٩١ رقم ٣٧١٣، وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده ضعيف ٥/ ٢٦٨، وأخرجه أبوداود في كتاب: الملاحم، باب: الأمر والنهي، ضعيف سنن أبي داود. الألباني ص ٤٣٠ رقم ٤٣٣٦، وأخرجه الترمذي في أبواب: التفسير، باب: سورة المائدة، ضعيف سنن الترمذي ـ الألباني ص ٣٦٨ رقم ٣٢٥١، وأخرجه ابن ماجة في كتاب: الفتن، باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ضعيف سنن ابن ماجة ـ الألباني ص ٣٢١ رقم ٤٠٠٦ وانظر: تفسير القرآن العظيم الحافظ ابن كثير ٢/ ٩٤.

ومنها: أنه ـ بترك الإنكار للمنكر ـ يندرس العلم، ويكثر الجهل، فإن المعصية ـ مع تكررها وصدورها من كثير من الأشخاص، وعدم إنكار أهل الدين والعلم لها ـ يظنّ أنها ليست بمعصية، وربما ظنّ الجاهل، أنها عبادة مستحسنة.

وأي مفسدة أعظم من اعتقاد ماحرّم الله حلالاً؟ وانقلاب الحقائق على النفوس ورؤية الباطل حقاً؟.

ومنها: أنّ بالسكوت على معصية العاصين ربما تزيّنت المعصية في صدور الناس، واقتدى بعضهم ببعض، فالإنسان مولع بالاقتداء بأضرابه، وبني جنسه.

فلما كان السكوت على الإنكار بهذه المثابة، نصّ الله تعالى أنّ بني إسرائيل ـ الكفار منهم ـ لعنهم بمعاصيهم واعتدائهم، وخصّ من ذلك هذا المنكر العظيم(١).

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٢).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

هذه صفة محمد ﷺ في كتب الأنبياء، بَشَّروا أممهم ببعثه، وأمروهم

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٢٠٣.
(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

بمتابعته، ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم، يعرفها علماؤهم وأحبارهم.

وقوله: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ لا يأمر إلاّ بخير، ولا ينهىٰ إلا عن شر[١].

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله:

تدلّ الآية علىٰ أن شريعة محمد ﷺ أسهل الشرائع، وأنه وضع عن أمتّه كل ثقل كان في الأمم الماضية، وذلك نعمة عظيمة علىٰ هذه الأمة.

كما تدلّ الآية علىٰ وجوب تعظيم الرسول ﷺ، ونصره بالجهاد، ونصرته بنصرة دينه، وهذا لايختص بعصره، بل إن نصرة دينه لازم إلىٰ انقضاء التكليف، ولعلّ الجهاد بالبيان وإيراد الحجة، موضع الكتب فيه، وحلّ شبه المخالفين، يزيد في بعض الأوقات علىٰ الجهاد بالسيف[٢].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهو: كل ماعرف حسنه وصلاحه ونفعه.

﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ وهو: كل ماعرف قبحه في العقول، والفطر، فيأمرهم بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وصلة الأرحام، وبر الوالدين والإحسان إلىٰ الجار والمملوك، وبذل النفع لسائر الخلق، والصدق، والعفاف، والبر، والنصيحة وما أشبه ذلك، وينهىٰ عن الشرك بالله، وقتل النفوس بغير حق، والزنا، وشرب مايسكر العقل، والظلم لسائر الخلق، والكذب، والفجور، ونحو ذلك، فأعظم دليل يدل علىٰ أنه رسول الله، ما

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٢٨٠، ٢٨٢.

(٢) محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ٧/ ٢٧٨.

دعا إليه، وأمر به، ونهى عنه، وأحلّه، وحرّمه[١].

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى منكراً على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين، ولما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، كان هؤلاء ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: عن الإنفاق في سبيل الله ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ أي: نسوا ذكر الله ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ أي: عاملهم معاملة من نسيهم. ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن طريق الحق، الداخلون في طريق الضلالة[٣].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

يقول تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾ لأنهم اشتركوا في النفاق، فاشتركوا في تولي بعضهم بعضاً، وفي هذا قطع للمؤمنين من ولايتهم، ثم ذكر وصف المنافقين العام، الذي لايخرج منه صغير منهم ولا كبير، فقال: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ﴾ وهو: الكفر والفسوق والعصيان ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ وهو: الإيمان، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة، والآداب الحسنة[٤].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٢٦٨.
(٢) سورة التوبة، آية: ٦٧.
(٣) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٤٠٥.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٣٠٠.

قال الله تعالىٰ:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

لما ذكر تعالىٰ صفات المنافقين الذميمة عطف بذكر صفات المؤمنين المحمودة فقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي: يتناصرون ويتعاضدون ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أي: يبذلون الخير للغير ويكفون الشر والأذىٰ، ويطيعون الله ويحسنون إلىٰ خلقه ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: فيما أمر، وترك ما عنه زجر ﴿أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ أي: سيرحم الله من اتصف بهذه الصفات ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي: يعزّ من أطاعه، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ﴿حَكِيمٌ﴾ في قسمته هذه الصفات لهؤلاء، وتخصيصه المنافقين بصفاتهم المتقدمة، فإنه له الحكمة في جميع مايفعله تبارك وتعالىٰ(٢).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ هذه صفة المؤمنين، والمعروف: اسم جامع لكل ماعرف حسنه من العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، وأول مايدخل في أمرهم أنفسهم، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ وهو: كل ما خالف

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧١.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٤٠٦.

المعروف وناقضه من العقائد الباطلة، والأعمال الخبيثة، والأخلاق الرذيلة[١].

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

هذا نعت المؤمنين الذين اشترىٰ الله منهم أنفسهم وأموالهم بهذه الصفات الجميلة، والخلال الجميلة[٣].

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله:

﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ وسرّ العطف فيه إما الدلالة علىٰ أنّه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة، وصفة واحدة، لأنّ بينهما تلازماً في الذهن والخارج، لأن الأوامر تتضمن النواهي، ومنافاة بحسب الظاهر، لأن أحدهما طلب فعل، والآخر طلب ترك، فكانا بين كمال الاتصال والانقطاع المقتضي للعطف بخلاف ماقبلهما.

أو لأنه لما عدّد صفاتهم، عطف هذين ليدلّ علىٰ أنها شيء واحد، وخصلة واحدة، والمعدود مجموعها، كأنه قيل: الجامعون بين موضعين، أو العطف لما بينهما من التقابل، أو لدفع الإيهام[٤].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٣٠١.

(٢) سورة التوبة، آية: ١١٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٤٣٠.

(٤) محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ٨/ ٣٣٩.

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

فالمؤمنون الذين لهم البشارة من الله بدخول الجنات ونيل الكرامات هم الذين نعتوا بهذه الصفات العظيمة.

﴿الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ويدخل فيه: جميع الواجبات والمستحبات.

﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ وهي: جميع مانهى الله تعالى ورسوله ﷺ عنه[1].

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال سفيان بن عيينة رحمه الله: العدل في هذا الموضع هو: استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملاً، والإحسان: أن تكون سريرته أحسن من علانيته، والفحشاء والمنكر: أن تكون علانيته أحسن من سريرته.

وقال قتادة رحمه الله: ليس من خلق حسن، كان أهل الجاهلية يعملون به، ويستحسنونه، إلاّ أمر الله به، وليس من خلق سيء كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه، وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها[3].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

وقوله: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ وهو: كل ذنب عظيم، استفحشته الشرائع والفطر، كالشرك بالله، والقتل بغير حق، والزنا، والسرقة، والعجب،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٣١٠.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٦٤٢.

والكبر، واحتقار الخلق، وغير ذلك من الفواحش. ويدخل في المنكر: كل ذنب ومعصية تتعلق بحق الله تعالىٰ[١].

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: فينا نزلت ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾ فأخرجنا من ديارنا بغير حق إلاّ أن قلنا: ربنا الله، ثم مكّنا في الأرض، فأقمنا الصلاة، وآتينا الزكاة، وأمرنا بالمعروف، ونهينا عن المنكر، ولله عاقبة الأمور، فهي لي ولأصحابي.

وقال أبو العالية رحمه الله: هم أصحاب محمد ﷺ.

وقال الصباح بن سوادة الكندي: سمعت عمر بن عبدالعزيز رحمه الله يخطب وهو يقول: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ...﴾ الآية، ثم قال: ألا إنها ليست علىٰ الوالي وحده، ولكنها علىٰ الوالي والمولىٰ عليه، ألا أنبئكم بما لكم علىٰ الوالي من ذلكم، وبما للوالي عليكم منه؟ إن لكم علىٰ الوالي من ذلكم أن يأخذكم بحقوق الله عليكم، وأن يأخذ لبعضكم من بعض، وأن يهديكم للتي هي أقوم ما استطاع، وإنّ عليكم من ذلك: الطاعة غير المبزوزة، ولا

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٣٩٩.
(٢) سورة الحج، آية: ٤١.

المستكره بها، ولا المخالف سرها علانيتها[١].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهذا يشمل كل معروف حسنه شرعاً وعقلاً، من حقوق الله وحقوق الآدميين.

﴿وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾ كل منكر شرعاً وعقلاً، معروف قبحه، والأمر بالشيء والنهي عنه يدخل فيه ما لايتم إلاّ به، فإذا كان المعروف والمنكر يتوقف على تعلم وتعليم، أجبروا الناس على التعلم والتعليم، وإذا كان يتوقف على تأديب مقدّر شرعاً، أو غير مقدّر؛ كأنواع التعزير قاموا بذلك، وإذا كان يتوقف على جعل أناس متصدّين له لزم ذلك، ونحو ذلك مما لايتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلاّ به[٢].

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ يعني طرائقه ومسالكه، وما يأمر به.

﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ هذا تنفير من ذلك

---

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٣/ ٢٥٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٤٩٠.

(٣) سورة النور، آية: ٢١.

بأفصح عبارة وأبلغها، وأوجزها وأحسنها. ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ أي: لولا هو يرزق من يشاء التوبة والرجوع إليه، ويزكي النفوس من شركها وفجورها ودنسها، وما فيها من أخلاق رديئة كل بحسبه لما حصّل أحد لنفسه زكاة ولا خيراً، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ أي: من خلقه ويضل من يشاء ويرديه في مهالك الضلال والغي ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ أي: سميع لأقوال عباده ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق منهم الهدىٰ والضلال[1].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

ومن حكمته تعالىٰ: أن بيّن الحكم، وهو: النهي عن اتباع خطوات الشيطان، والحكمة: وهو بيان مافي المنهي عنه من الشر المقتضي، والداعي لتركه، فقال: ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ﴾ أي الشيطان ﴿يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ أي: ماتستفحش العقول والشرائع من الذنوب العظيم، مع ميل بعض النفوس إليه ﴿وَالْمُنكَرِ﴾ وهو: ماتنكره العقول ولاتعرفه، فالمعاصي التي هي خطوات الشيطان لاتخرج عن ذلك، فنهىٰ الله عنها العباد، نعمة منه، عليهم أن يشكروه ويذكروه لأن ذلك صيانة لهم عن التدنّس بالرذائل والقبائح، فمن إحسانه عليهم: أن نهاهم عنها، كما نهاهم عن أكل السموم القاتلة ونحوها[2].

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[3].

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٣/ ٣٠٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٥١٣.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يعني أنّ الصلاة تشتمل على شيئين، على ترك الفواحش والمنكرات، أي: مواظبتها تحمل على ترك ذلك.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلاّ بعداً». وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لا صلاة لمن لم يطع الصلاة، وطاعة الصلاة تنهاه عن الفحشاء والمنكر». وقال أبو العالية رحمه الله: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» قال: إنّ الصلاة فيها ثلاث خصال، فكل صلاة لايكون فيها شيء من هذه الخصال فليست بصلاة: الإخلاص، والخشية، وذكر الله، فالإخلاص يأمره بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر، وذكر الله القرآن يأمره وينهاه[1].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

وقوله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ فالفحشاء: كل ما استعظم واستفحش من المعاصي التي تشتهيها النفوس، والمنكر: كل معصية تنكرها العقول والفطر، ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أنّ العبد المقيم لها المتمّم لأركانها وشروطها وخشوعها، يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقلّ أو تنعدم رغبته في الشر، فبالضرورة مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا من أعظم مقاصد الصلاة وثمراتها، وثمّ في الصلاة مقصود أعظم من هذا وأكبر، وهو: ما اشتملت عليه من ذكر الله، بالقلب، واللسان، والبدن، فإنّ الله تعالى إنما خلق العباد لعبادته، وأفضل عباده تقع منهم الصلاة، وفيها من

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٣/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧.

عبوديات الجوارح كلّها ماليس في غيرها [١].

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

هذه وصايا نافعة قد حكاها الله سبحانه عن لقمان الحكيم ليمتثلها الناس ويقتدوا بها، فقال: ﴿ . . . يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ﴾ أي بحدودها وفروضها وأوقاتها ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ أي بحسب طاقتك وجهدك ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ علم أنّ الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لابد أن يناله من الناس أذىٰ، فأمره بالصبر، وقوله: ﴿ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ أي: إنّ الصبر علىٰ أذىٰ الناس لمن عزم الأمور [٣].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ﴾ حثّه عليها، وخصها لأنها أكبر العبادات البدنية ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ وذلك يستلزم العلم بالمعروف ليأمر به، والعلم بالمنكر لينهىٰ عنه، والأمر بما لايتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلاّ به من الرفق والصبر، وقد صرّح به في قوله: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ ومن كونه فاعلاً لما يأمر به، كافّاً لما ينهىٰ عنه، فتضمن هذا تكميل نفسه بفعل الخير وترك الشّر، وتكميل غيره بذلك بأمره ونهيه.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٥٨١.

(٢) سورة لقمان، آية: ١٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٣/ ٤٩٠ ـ ٤٩٧.

ولمّا علم أنّه لابدّ أن يبتلىٰ إذا أمر ونهىٰ، وأنّ الأمر والنهي مشقة علىٰ النفس أمره بالصبر علىٰ ذلك فقال: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الذي وعظ به لقمان ابنه ﴿ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ أي: من الأمور التي يعزم عليها، ويهتّم بها، ولايوفّق لها إلاّ أهل العزائم (١).

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴾ (٢).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

جاءت هذه الأحكام العظيمة في هذه الآية الكريمة من إسكان المطلقة، والنفقة علىٰ الحامل مدة الحمل، ودفع أجرة الرضاع لها، والائتمار بالمعروف وقوله: ﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: ولتكن أموركم فيما بينكم بالمعروف من غير إضرار ولا مضارّة (٣).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: وليأمر كل واحد من الزوجين وغيرهما الآخر بالمعروف، وهو: كل مافيه منفعة ومصلحة في الدنيا والآخرة، فإنّ الغفلة عن الائتمار بالمعروف يحصل فيها من الضرر والشرّ ما لا يعلمه إلاّ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٥٩٧.
(٢) سورة الطلاق، آية: ٦.
(٣) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٤/ ٤٠٤.

الله، وفي الائتمار به تعاون على البر والتقوى، وممّا يناسب هذا المقام أنّ الزوجين عند الفراق وقت العدّة خصوصاً إذا ولد بينهما ولد في الغالب يحصل من التنازع والتشاجر لأجل النفقة عليها وعلى الولد مع الفراق الذي لايحصل في الغالب إلاّ بالبغض، فيتأثر من ذلك شيء كثير. فكل منهما يؤمر بالمعروف، والمعاشرة الحسنة، وعدم المشاقة والمنازعة، وينصح على ذلك [١].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٨٠٧.

المبحث الثاني
الدروس الدعوية المستنبطة من آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

١ ـ وجوب تنصيب أمة مؤهَّلة من الناس، تقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ ـ أفضلية الأمة الخاتمة وخيرتها على سائر الأمم لقيامها بواجبات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣ ـ جواز التناجي والتخاطب في المعروف، وفي الإصلاح بين الناس؛ لأنّ ذلك من محبوبات الله تعالى.

٤ ـ إنّ سبب استحقاق بني إسرائيل للعن والطرد والابتعاد عن رحمة الله لأنّهم تركوا النهي عن المنكر، واستمرأوا ذلك، ومن كان فيه شبه بهم فإنه يخشى عليه أن يصيبه ما أصابهم.

٥ ـ بيان صفات الرسول ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، وأنّ في مقدمتها أنه يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر.

٦ ـ الثناء على أولئك الذين آمنوا بالرسول ﷺ وعزّروه ونصروه، فإنهم هم المفلحون.

٧ ـ الطيور على أشباهها تقع، فإنّ طريقة المنافقين هي نفس طريقة المنافقات في الصدّ عن دين الله، فالمنافقون والمنافقات يأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف؛ ولذلك فإنهم هم الفاسقون في كل زمان ومكان.

٨ ـ تجتمع القلوب المطمئنة، والنفوس العالية من المؤمنين والمؤمنات على مرضاة الله سبحانه في فعل الخير من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة،

وطاعة الله تعالىٰ ورسوله ﷺ، ومن بذل الخير للغير في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وقد حكم الله تعالىٰ لهؤلاء بأنهم المرحومون.

٩ ـ إنّ من أخصّ أوصاف المؤمنين، شفافية نفوسهم فلا ترضىٰ بالمنكر، ولا تقبله، بل لا ترضىٰ إلاّ المعروف، ولذا فهي تأمر به، وترفض المنكر، ولذا فهي تنهىٰ عنه.

١٠ ـ سوق البشرىٰ من المليك الديان ـ جلّ جلاله ـ للتائبين، العابدين، الحامدين، السائحين، الساجدين، الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والحافظين لحدود الله.

١١ ـ إنّ كل ذنب عظيم مما تستفحشه الشرائع والفطر نهىٰ الله تعالىٰ عنه لما في تركه والابتعاد عنه من صلاح نفوس العباد.

١٢ ـ إنّ من شروط التمكين في الأرض: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٣ ـ إنّ من خطوات الشيطان التي يأمر الناس بها: إشاعة الفحشاء والمنكر بين الناس، ولذا فحريٌّ بالدعاة أن يقطعوا علىٰ الشيطان خطواته.

١٤ ـ إن زاد المسلم اليومي في صلاته المكتوبة والمسنونة نهيٌ له عن ارتكاب الفواحش والمنكرات.

١٥ ـ اشتملت وصية لقمان الحكيم ـ رحمه الله ـ لابنه بأن يأمر بالمعروف وأن ينهىٰ عن المنكر، وما ذاك إلاّ لعظم هذه المسؤولية علىٰ كاهل

الإنسان، بل ويتحمل مايصيبه من الأذىٰ في سبيلها لأنّ ذلك من عزم الأمور.

١٦ ـ إنّ المعروف ينبغي أن لاينسىٰ حتىٰ مع المرأة المطلقة سواء كان ذلك متعلقاً بإسكان أم بنفقة أم بدفع أجرة إرضاع؛ لأن دين الإسلام هو دين المعروف.

الفصل الثالث

آيات النصيحة والدروس المستنبطة منها

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول:

آيات النصيحة وشروحها.

المبحث الثاني:

الدروس الدعوية المستنبطة من آيات النصيحة.

المبحث الأول
آيات النصيحة وشروحها

قال الله تعالىٰ :

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾(١) .

وقال تعالىٰ : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾(٢) .

وقال تعالىٰ : ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾(٣) .

وقال تعالىٰ : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾(٤) .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

هذه الآيات جاءت في أنبياء الله عز وجل وهم : نوح، وهود، وصالح، وشعيب عليهم الصلاة والسلام، فقد قاموا بالنصيحة لأقوامهم خير قيام، فإنّ شأن الرسل أن يكونوا مبلغين ناصحين عالمين بالله، لايدركهم أحدٌ من خلق الله في هذه الصفات، فقد ثبت أنّ رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم عرفة وهم أوفر ما كانوا وأكثر جمعاً : (أيها الناس، إنكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟) قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فجعل يرفع أصبعه إلىٰ السماء وينكسها عليهم ويقول : (اللهم اشهد، اللهم اشهد)(٥) .

فأما صالح عليه السلام فقد قرّع قومه بعد أن أهلكهم الله بمخالفتهم إياه،

---

(١) سورة الأعراف، آية : ٦٢ (٢) سورة الأعراف، آية : ٦٨ .

(٣) سورة الأعراف، آية : ٧٩ (٤) سورة الأعراف آية : ٩٣ .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب : الحج، باب : حجة النبي ﷺ ٢/ ٨٩٠ رقم ١٢١٨ وللاستزادة انظر : تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٢٤٩ .

وتمردّهم على الله، وإبائهم عن قبول الحق، وإعراضهم عن الهدىٰ إلى العمىٰ[١].

قال لهم صالح عليه السلام ذلك بعد هلاكهم، تقريعاً وتوبيخاً وهم يسمعون ذلك، لما ثبت في الصحيح عن أبي طلحة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ (أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقُذفوا في طويٍّ من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة[٢] ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلية فشدّ عليها رحلها، ثم مشىٰ، وتبعه أصحابه، وقالوا: مانرىٰ ينطلق إلاّ لبعض حاجته، حتىٰ قام علىٰ شفة الرَّكي، فجعل يناديهم بأسمائهم، وأسماء آبائهم، يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقّاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ قال: فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله ماتكلّم من أجساد لا أرواح فيها؟ فقال رسول الله ﷺ: (والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) قال قتادة رحمه الله: أحياهم الله حتىٰ أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وخسة وندماً[٣].

وفي السيرة أنه عليه السلام قال لهم: (بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس، فبئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم). وهكذا قال صالح عليه السلام لقومه: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ أي: فلم تنتفعوا بذلك

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٢٥٦.

(٢) العرصة: كل موقع واسع لا بناء فيه.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: قتل أبي جهل ٥/ ١١ رقم ٣٩٧٦.

لأنكم لاتحبون الحق ولاتبتغون ناصحاً، ولهذا قال: ﴿وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾(١).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

فتولىٰ صالح عليه السلام عن قومه حين أحلّ الله بهم العذاب، وقال مخاطباً لهم توبيخاً وعتاباً، بعد ما أهلكهم الله: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ أي: جميع ما أرسلني الله به إليكم، قد أبلغتكم به وحرصت علىٰ هدايتكم، واجتهدت في سلوككم الصراط المستقيم والدين القويم، ﴿وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ بل رددتم قول النصحاء وأطعتم كل شيطان رجيم(٢).

وأما شعيب عليه السلام فتولىٰ عنهم بعدما أصابهم ما أصابهم من العذاب والنقمة والنكال، وقال لهم مقرّعاً وموبخاً: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ أي: قد أديت إليكم ما أرسلت به فلا آسف عليكم وقد كفرتم بما جئتكم به، ولهذا قال: ﴿فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾(٣).

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٤).

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٢٥٨.
(٣) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٢٦٠.
(٤) سورة هود، آية: ٣٢ ـ ٣٤.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالىٰ مخبراً عن استعجال قوم نوح نقمة الله وعذابه وسخطه، والبلاء موكل بالمنطق ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ أي: حاججتنا فأكثرت من ذلك ونحن لانتبعك ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ أي: من النقمة والعذاب، ادع علينا بما شئت فليأتنا ماتدعوه ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قال: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: إنما الذي يعاقبكم ويعجلها لكم الله الذي لايعجزه شيء ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ أي: أيّ شيء يجدي عليكم إبلاغي لكم وإنذاري إياكم ونصحي ﴿إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ أي: إغواءكم ودماركم ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: هو مالك أزمة الأمور، المتصرّف الحاكم العادل الذي لايجور، له الخلق وله الأمر، وهو المبدئ المعيد، مالك الدنيا والآخرة[١].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

فلما رأوه لاينكفّ عما كان عليه من دعوتهم، ولم يدركوا منه مطلوبهم قالوا مقولتهم، فما أجهلهم وأضلهم حيث قالوا هذه المقالة لنبيّهم الناصح.

فهلا قالوا إن كانوا صادقين: يا نوح قد نصحتنا، وأشفقت علينا، ودعوتنا إلىٰ أمر لم يتبيّن لنا فنريد منك أن تبينه لنا لننقاد لك، وإلاّ فأنت مشكور في نصحك؟ لكان هذا الجواب المنصف، للذي قد دعا إلىٰ أمر خفي عليهم، ولكنّهم في قولهم، كاذبون، وعلىٰ نبيهم متجرئون، ولم يردوا ما قاله بأدنىٰ شبهة، فضلاً عن أن يردوه بحجة[٢].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٤٨٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٣٣٧.

المبحث الثاني
الدروس الدعوية المستنبطة من آيات النصيحة

١ ـ اهتمام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بإخلاص النصيحة لأقوامهم إلىٰ الهدىٰ.

٢ ـ بروز طائفة غير قليلة من أقوام الأنبياء لايحبون النصيحة ولا الناصحين.

٣ ـ شهادة عقلاء أقوام الأنبياء بأداء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للنصيحة الخالصة.

٤ ـ تمازج اتصاف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للنصيحة بالأمانة ولاشك أن بينها علاقة حميمة.

٥ ـ اطمئنان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وراحة بالهم، وعدم أساهم علىٰ أولئك الكافرين الذين لم يقبلوا النصيحة، فعذّبهم الله تعالىٰ.

٦ ـ إنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لايكتفون بمجرد البلاغ لأقوامهم بل يزيدون علىٰ ذلك بإزجاء خالص النصيحة لهم، رغبة في استجابتهم وإيمانهم.

٧ ـ ينبغي أن يستشعر الدعاة إلىٰ الله تعالىٰ أنّ الناصحين ـ مع أنهم ناصحون ـ لايحبّون من بعض مدعويهم، فلا تضيق الأرض بهم ذرعاً، بل عليهم الاقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٨ ـ إنّ علىٰ الدعاة إلىٰ الله، وهم يقومون بواجب النصيحة أن يفرحوا بقبول النصيحة، وأن يخافوا علىٰ أقوامهم إذا امتنعوا عن قبول النصيحة.

٩ ـ إنّ على الدعاة إلى الله أن يتذكّروا دائماً فضل الله تعالى وكرمه على الناصحين ليزدادوا نشاطاً في نصيحتهم .

١٠ ـ إن على الدعاة إلى الله أن يتفنّنوا في عرض واختيار الأساليب الناجعة والناجحة لإيصال النصيحة لأقوامهم ، فإنّ الحق أبلج وظاهر فربّما قبل بأسلوب دون آخر .

١١ ـ كبر قلب داعية الله نوح عليه السلام حيث لم يستعجل عقوبة قومه حينما ردّوا النصيحة .

١٢ ـ إنّ الداعية إلى الله مكلّف بإيصال النصيحة بطريقة محكمة ، وأمّا القلوب فإنه لايعرف موافاتها ، وما تؤول عليه إلاّ في الآخرة .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الرابع

آيات الموعظة الحسنة والدروس المستنبطة منها

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول:

آيات الموعظة الحسنة وشروحها.

المبحث الثاني:

الدروس الدعوية المستنبطة من آيات الموعظة الحسنة.

المبحث الأول
آيات الموعظة الحسنة وشروحها

قال الله تعالىٰ:

﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ يعني القرآن، فيه بيان الأمور علىٰ جليتها، وكيف كان الأمم الأقدمون مع أعدائهم ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً﴾ يعني القرآن، فيه خبر ماقبلكم، وهدىٰ لقلوبكم، وموعظة أي زاجر عن المحارم والمآثم(٢).

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله:

﴿هَذَا﴾ أي القرآن، أو ماتقدم من مؤاخذة المذكورين ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ﴾ أي: تخويف نافع ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾(٣).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ أي: دلالة ظاهرة، تبين للناس الحق من الباطل، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، وهو الإشارة إلىٰ ما أوقع الله بالمكذبين ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ لأنهم المنتفعون بالآيات فتهديهم إلىٰ سبيل الرشاد، وتعظهم وتزجرهم عن طريق الغي.

وأمّا باقي الناس فهي بيان لهم، تقوم به عليهم الحجة من الله، ليهلك من هلك عن بينة(٤).

★ ★ ★

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٣٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ١/ ٤٤٠.

(٣) محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ٤/ ٢٣٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ١١٦ ـ ١١٧.

قال الله تعالىٰ:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ أي: النساء اللاتي تتخوفون أن ينشزن علىٰ أزواجهّن، والنشوز هو الارتفاع، فالمرأة الناشز هي المرتفعة علىٰ زوجها، التاركة لأمره، المعرضة عنه، المبغضة له، فمتىٰ ظهر له منها أمارات النشوز، فليعظها وليخوفها عقاب الله في عصيانه، فإنّ الله قد أوجب الزوج عليها طاعته، وحرّم عليها معصيته لما له من الفضل والإفضال[٢].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾ أي ارتفاعهن عن طاعة أزواجهن بأن تعصيه، بالقول أو الفعل، فإنه يؤدبها بالأسهل فالأسهل ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ أي ببيان حكم الله في طاعة الزوج ومعصيته، والترغيب في الطاعة، والترهيب من المعصية، فإن انتهت فذلك المطلوب، وإلاّ فيهجرها الزوج في المضجع بأن لايضاجعها، ولا يجامعها، بمقدار مايحصل به المقصود، وإلاّ ضربها ضرباً غير مبرح[٣].

★ ★ ★

(١) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ١/ ٥٣٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ١٤٢.

قال الله تعالىٰ :

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا﴾(١) .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

هذا الضرب من الناس هم المنافقون ، والله يعلم مافي قلوبهم وسيجزيهم علىٰ ذلك ، فإنه لاتخفىٰ عليه خافية ، فاكتف يا محمد فيهم ، فإنه عالم بظواهرهم وبواطنهم ، ولهذا قال : ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي : لاتعنفهم علىٰ ما في قلوبهم ﴿وَعِظْهُمْ﴾ أي : وانههم عما في قلوبهم من النفاق وسرائر الشر ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا﴾ أي : وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم(٢) .

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله:

قوله : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾ يعني ما انطوت عليه من الخبث والمكر والحيل ، ثم أمره بوعظهم ، والإعراض عن جرائمهم حتىٰ لاتكون مؤاخذتهم بها مانعة من نصحهم ووعظهم .

وقوله : ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا﴾ كالشرح للوعظ ، ولذكر أهم مايعظهم فيه ، وتلك نفوسهم التي علم الله ما انطوت عليه من المذام(٣) .

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي من النفاق والقصد السيء ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي : لا تبال بهم ، ولا تقابلهم علىٰ مافعلوه واقترفوه

---

(١) سورة النساء ، آية : ٦٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ١/ ٥٦٩ .

(٣) محاسن التأويل ـ الشيخ : محمد جمال الدين القاسمي ٥/ ٢٧١ .

﴿وَعِظْهُمْ﴾ أي: بيّن لهم حكم الله تعالىٰ، مع الترغيب في الانقياد لله والترهيب من تركه(١).

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾(٢).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالىٰ عن أكثر الناس أنهم لو أمروا بما هم مرتكبونه من المناهي لما فعلوه، لأن طباعهم الرديئة مجبولة علىٰ مخالفة الأمر.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ أي: ولو أنهم فعلوا مايؤمرون به وتركوا ماينهون عنه ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ أي: من مخالفة الأمر وارتكاب النهي(٣).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

يخبر تعالىٰ أنه لو كتب علىٰ عباده الأوامر الشاقّة علىٰ النفوس، من قتل النفوس، والخروج من الديار، لم يفعله إلاّ القليل منهم والنادر، فليحمدوا ربّهم وليشكروه علىٰ تيسير ما أمرهم به من الأوامر التي تسهل علىٰ كل أحد ولا يشقّ فعلها.

وفي هذا إشارة إلىٰ أنه ينبغي أن يلحظ العبد ضدّ ما هو فيه من

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ١٤٩.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٦ ـ ٦٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ١/ ٥٧٣.

المكروهات لتخفّ عليه العبادات، ويزداد حمداً وشكراً لربه.

ثم أخبر أنهم لو فعلوا مايوعظون به أي: ماوظف عليهم في كل وقت بحسبه، فبذلوا همهم، ووفّروا نفوسهم للقيام به وتكميله، ولم تطمح نفوسهم لما لم يصلوا إليه ولم يكونوا بصدده، وهذا هو الذي ينبغي للعبد أن ينظر إلى الحالة التي يلزمه القيام بها فيكملها، ثم يتدرّج شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى ماقدر له، من العلم والعمل في أمر الدين والدنيا.

ثم رتب مايحصل لهم على فعل مايوعظون به وهو أمور أربعة:

(أحدها): الخيرية في قوله ﴿كَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، (الثاني): حصول التثبيت والثبات وزيادته، (الثالث): إعطاؤهم الأجر العظيم، (الرابع): هدايتهم الصراط المستقيم[1].

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[2].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى عن أهل هذه القرية أنّهم صاروا إلى ثلاث فرق، فرقة: ارتكبت المحذور واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت، وفرقة: نهت عن ذلك واعتزلتهم، وفرقة: سكتت فلم تفعل ولم تنه ولكنها قالت للمنكرة: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي: لم تنهون هؤلاء وقد

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٦٤.

علمتم أنهم قد هلكوا واستحقوا العقوبة من الله؟ فلا فائدة في نهيكم إياهم، قالت المنكرة: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أي: فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يقولون: ولعلّ هذا الإنكار يتّقون ماهم فيه وينكرونه، ويرجعون إلى الله تائبين، فإذا تابوا لله تاب الله عليهم ورحمهم(١).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

ففسقهم هو الذي أوجب أن يبتليهم الله، وأن تكون لهم هذه المحنة، وإلاّ فلو لم يفسقوا لعافاهم الله ولما عرّضهم للبلاء والشّر.

وقد هدفت الفرقة المنكرة إعذار الفرقة الظالمة وإقامة الحجة على المأمور المنهي، ولعلّ الله أن يهديه، فيعمل بمقتضى الأمر والنهي(٢).

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(٣).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى ممتناً على خلقه بما أنزله من القرآن العظيم على رسوله الكريم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: زاجر من الفواحش ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾. يأى: من الشبه والشكوك وهو إزالة ما فيها من رجس ودنس ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ أي: يحصل به الهداية والرحمة من الله تعالى وإنما ذلك

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٢٨٦.

(٢) أنظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

(٣) سورة يونس، آية: ٥٧.

للمؤمنين به والمصدقين الموقنين بما فيه[١].

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: تزكية لنفوسكم بالوعد والوعيد، والإنذار، والبشارة، والزجر عن الذنوب المورطة في العقاب، والتحريض على الأعمال الموجبة للثواب، لتعملوا على الخوف والرجاء ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: القلوب من أمراضها كالشك والنفاق، والغلّ والغشّ، وأمثال ذلك بتعليم الحقائق، والحكم الموجبة لليقين، وتصفيتها بقبول المعارف، والتنّور بنور التوحيد ﴿وَهُدًى﴾ أي: لنفوسكم من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لمن آمن به بالنجاة من العذاب، والارتقاء إلى درجات النعيم[٢].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

يقول تعالى مرغباً الخلق في الإقبال على هذا الكتاب الكريم بذكر أوصافه الحسنة الضرورية للعباد فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: تعظكم وتنذركم عن الأعمال الموجبة لسخط الله، المقتضية لعقابه، وتحذركم عنها ببيان آثارها ومفاسدها ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ وهو هذا القرآن شفاء لما في الصدور من أمراض الشهوات الصادة عن الانقياد للشرع، وأمراض الشبهات القادحة في العلم اليقيني، فإنّ مافيه من المواعظ والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، مما يوجب للعبد الرغبة والرهبة. وإذا وجدت فيه الرغبة في الخير، والرهبة عن الشر، ونمت على تكرر مايرد إليها من معاني القرآن، أوجب ذلك تقديم مراد الله على مراد النفس، وصار مايرضي الله

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٤٦١.

(٢) محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ٩/ ٤٦.

أحبّ إلى العبد من شهوة نفسه[١].

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

لمّا سأل واستعلم نوح عليه السلام ربه عن حال ولده الذي غرق، أبان الله سبحانه أنّ ولده سبق عليه القول بالغرق لكفره ومخالفته أباه نبي الله نوحاً عليه السلام، فإن عمل ابن نوح ليس عملاً صالحاً، ولذا فإنه لا يحسن بهذا النبي الكريم نجاة ابنه الذي خالف أمر الله تعالى[٣].

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله:

﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: أنهاك أن تكون منهم بسؤالك إياي مالم تعلم، وقد تنبّه نوح عليه السلام عند ذلك لهذا التأديب الإلهي، والعقاب الرباني وتعوذ بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٤].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿قَالَ﴾ الله له: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الذين وعدتك بإنجائهم ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ أي: هذا الدعاء الذي دعوت به، لنجاة كافر لا يؤمن بالله ولا رسوله

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٣٢٣

(٢) سورة هود، آية: ٤٦.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٤٩٠.

(٤) سورة هود، آية: ٤٧ وانظر محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ٩/ ١٣٣.

﴿فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: مالا تعلم عاقبته، ومآله، وهل يكون خير وغير خير ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: أعظك وعظاً، تكون به من الكاملين وتنجو به من صفات الجاهلين(١).

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالىٰ: وكل أخبار نقصها عليك من أنباء الرسل المتقدمين من قبلك مع أممهم، وكيف جرىٰ لهم من المحاجات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذىٰ، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين، كل هذا مما نثبت به فؤادك أي قلبك يا محمد ليكون لك بمن مضىٰ من إخوانك المرسلين أسوة، ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾ أي: في هذه السورة، المشتملة علىٰ قصص الأنبياء، وكيف أنجاهم الله والمؤمنين بهم، وأهلك الكافرين جاءك فيها قصص حقٍّ، ونبأ صدق، وموعظة يرتدع بها الكافرون، وذكرىٰ يتذكر بها المؤمنون(٣).

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله:

﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: عبرة لهم يحترزون بها عما أهلك الأمم، وتذكيرلما يجب أن يتدينوا به، ويجعلوه طريقهم وسيرتهم(٤).

(١) أنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٣٣٨.
(٢) سورة هود، آية: ١٢٠.
(٣) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٥١٠.
(٤) محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ٩/ ١٨٤.

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ ﴾ السورة ﴿الْحَقُّ﴾ اليقين، فلا شك فيه بوجه من الوجوه، فالعلم بذلك من العلم بالحق الذي هو أكبر فضائل النفوس ﴿وموعظة وذكرىٰ للمؤمنين﴾ أي: يتعظون به، فيرتدعون عن الأمور المكروهة، ويتذكرون الأمور المحبوبة لله فيفعلونها[١].

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: أجمع آية في القرآن في سورة النحل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ . .﴾ اهـ.

وقوله: ﴿ يَعِظُكُمْ﴾ أي: يأمركم به من الخير، وينهاكم عما ينهاكم عنه من الشّر لعلكم تذكرون[٣].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

فكل مسألة مشتملة علىٰ عدل، أو إحسان، أو إيتاء ذي القربىٰ، فهي ممّا أمر الله به، وكل مسألة مشتملة علىٰ فحشاء، أو منكر أو بغي، فهي ممّا نهىٰ الله عنه، وبها يعلم حسن ما أمر الله به، وقبح مانهىٰ الله عنه، وبها يعتبر ماعند الناس من الأقوال، وتردّ إليها سائر الأحوال، فتبارك من جعل من

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٣٤٨.
(٢) سورة النحل، آية: ٩٠.
(٣) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٦٤٢.

كلامه الهدىٰ والشفاء والنور والفرقان بين الأشياء، ولهذا قال: ﴿يَعِظُكُمْ﴾ أي: بما بيّنه لكم في كتابه، بأمركم بما فيه غاية صلاحكم، ونهيكم عمّا فيه مضرتكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ مايعظكم به، فتفهمونه وتعقلونه، فإنكم إذا تذكرتموه وعقلتموه عملتم بمقتضاه، فسعدتم سعادة لا شقاوة معها[١].

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٢].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

إذا انقاد المدعو بالحكمة وإلا انتقل معه إلىٰ الدعوة بالموعظة الحسنة وهي: الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله، وإهانة من لم يقم به، وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل، وما أعدّ الله للعاصين من العقاب العاجل والآجل، فإن كان المدعو يرىٰ أنّ ماهو عليه حق، أو كان داعية إلىٰ باطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعىٰ لاستجابته عقلاً ونقلاً، ومن ذلك: الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلىٰ حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلىٰ خصام، أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولاتحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلىٰ الحق لا المغالبة ونحوها[٣].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٤٠٠.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٤٠٤.

وقال ابن القيم رحمه الله:

جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق، فالمستجيب القابل الذكي الذي لايعاند الحق ولا يأباه: يدعىٰ بطريق الحكمة.

والقابل الذي عنده غفلة وتأخّر: يدعىٰ بالموعظة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

والمعاند الجاحد: يجادل بالتي هي أحسن[١].

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ينهاكم الله، متوعداً أن يقع منكم مايشبه هذا أبداً ـ وهو الإفك ـ أي: فيما يستقبل، ولهذا قال: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم تؤمنون بالله وشرعه، وتعظمون رسوله ﷺ، فأما من كان متصفاً بالكفر فله حكم آخر[٣].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾ أي: لنظيره، من رمي المؤمنين بالفجور، فالله يعظكم وينصحكم عن ذلك، ونعم المواعظ والنصائح من ربنا، فيجب علينا مقابلتها بالقبول والإذعان والتسليم والشكر له علىٰ مابيّن لنا، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ دلّ ذلك علىٰ أن الإيمان الصادق يمنع صاحبه من الإقدام علىٰ المحرمات[٤].

★ ★ ★

(١) التفسير القيم للإمام ابن القيم ـ جمع: محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي ٣٤٤.
(٢) سورة النور، آية: ١٧.
(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٣/ ٣٠٣.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٥١٢.

قال الله تعالىٰ:

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾ يعني القرآن: فيه آيات واضحات مفسرات ﴿وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: خبراً عن الأمم الماضية، وما حلّ بهم في مخالفتهم أوامر الله تعالىٰ ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: لمن اتقىٰ الله وخافه، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صفة القرآن: فيه حكم مابينكم، وخبر ماقبلكم، ونبأ مابعدكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغىٰ الهدىٰ من غيره أضله الله(٢).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: وأنزلنا إليكم موعظة للمتقين، من الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، يتعظ بها المتقون فيكفّون عمّا يكره الله إلىٰ مايحبه الله(٣).

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٤).

---

(١) سورة النور، آية: ٣٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٣/ ٣١٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٥١٧.

(٤) سورة لقمان، آية: ١٣.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالىٰ مخبراً عن وصية لقمان لولده، وهو لقمان بن عنيقاء بن سدون، واسم ابنه ثاران، وقد ذكره الله تعالىٰ بأحسن الذكر، وأنه آتاه الحكمة، وهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبّهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل مايعرف، ولهذا أوصاه بأن يعبد الله وحده ولايشرك به شيئاً، ثم قرن بوصيته إياه بعبادة الله وحده: البرّ بالوالدين[١].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

واختلف المفسرون هل كان لقمان نبياً أو عبداً صالحاً؟ والله تعالىٰ لم يذكر عنه إلا أنه آتاه الحكمة وذكر بعض مايدلّ علىٰ حكمته في وعظه لابنه، فذكر أصول الحكمة وقواعدها الكبار، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾ وقال له قولاً يعظه به، والوعظ: هو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، فأمره بالإخلاص، ونهاه عن الشرك، وبيّن له السبب في ذلك فقال: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ووجه كونه ظلماً عظيماً، أنه لا أفظع ولا أبشع ممنّ سوىٰ المخلوق من تراب، بمالك الرقاب، وسوّىٰ الذي لايملك من الأمر شيئاً، بمالك الأمر كلّه، وسوّىٰ الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالربّ الكامل الغني من جميع الوجوه، وسّوىٰ من لايستطيع أن ينعم بمثقال ذرَّة من النعم بالذي ما بالخلق من نعمة من دينهم ودنياهم وأخراهم، وقلوبهم وأبدانهم إلا منه، ولايصرف السوء إلاّ هو. فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟![١].

★ ★ ★

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٣/ ٤٨٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٥٩٦ ـ ٥٩٧.

قال الله تعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

نزلت آية الظهار في خولة بنت ثعلبة وفي زوجها أوس بن الصامت رضي الله عنهما، تبيّن الحكم الشرعي في مثل هذه الحادثة، ثم جاءت الآيات اللاحقة لها تبيِّن المنهج الإسلامي في الحالات المشابهة، ولفظاعة هذا الأسلوب في التعامل في الزوجية، جاء الحكم فيه نوع من القسوة لتعالج بعضاً من أمراض النفوس.

وقوله: ﴿ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ﴾ أي: تزجرون به(٢).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ أي: الحكم الذي ذكرناه لكم ﴿ تُوعَظُونَ بِهِ ﴾ أي: يبين لكم حكمه مع الترهيب المقرون به، لأنّ معنىٰ الوعظ: ذكر الحكم مع الترغيب والترهيب، فالذي يريد أن يظاهر إذا ذكر أنّ عليه عتق رقبة، كفّ نفسه عنه(٣).

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن

(١) سورة المجادلة، آية: ٣.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٤/ ٣٣٦، ٣٣٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ عبدالرحمن السعدي ٧٨٣.

يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾[١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: فإذا بلغ المعتدات أجلهنّ، أي: شارفن على انقضاء العدة وقاربن ذلك، ولكن لم تفرغ العدّة بالكلية، فحينئذ إما أن يعزم الزوج على إمساكها، وهو رجعتها إلى عصمة نكاحه، والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: محسناً إليها في صحبتها، وإما أن يعزم على مفارقتها بمعروف، أي من غير مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف، بل يطلقها على وجه جميل وسبيل حسن.

وقوله: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: على الرجعة إذا عزمتم عليها ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ أي: هذا الذي أمرناكم به من الإشهاد وإقامة الشهادة إنما يأتمر به من يؤمن بالله وباليوم الآخر، وأنه شرع هذا، ومن يخاف عقاب الله في الدار الآخرة[٢].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿ذَلِكُمْ﴾ الذي ذكرناه لكم من الأحكام والحدود ﴿يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ فإنّ الإيمان بالله واليوم الآخر يوجب لصاحبه أن يتعظ بمواعظ الله، وأن يقدم لآخرته من الأعمال الصالحة مايتمكن منها، بخلاف من ترحّل الإيمان من قلبه فإنه لا يبالي بما أقدم عليه من الشرّ، ولايعظم مواعظ الله لعدم الموجب لذلك[٣].

---

(١) سورة الطلاق، آية: ٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٤/ ٤٠٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٨٠٦.

المبحث الثاني
الدروس الدعوية المستنبطة من آيات الموعظة الحسنة

١ ـ القرآن الكريم أعظم مادة في التأثير لأهل القلوب الزكية، والعقول النقيّة.

٢ ـ اشتمال القرآن الكريم على أنه كتاب هداية، وكتاب موعظة يرق لآياته القلوب الخاشعة، وترتعد لآياته الجلود والفرائص والأبدان المتأثرة.

٣ ـ سوق أحوال الأمم السالفة الغابرة، وما حلّ بهم من أصناف العقوبات حينما لم يقبلوا دعوة التوحيد له أكبر الأثر في موعظة المدعوين.

٤ ـ الموعظة الحسنة أسلوب دعوي ينبغي أن يبدأ به الزوج الداعية لزوجته التي يخاف أن تنشز.

٥ ـ ينبغي مراعاة الداعية لأحوال الموعوظ، فإن كان الرجاء وذكر وعد الله له أنفع بدأ به، وركز عليه، وإن كان التخويف وذكر وعيد الله له أنفع بدأ به وركز عليه، فالخوف والرجاء كجناحي الطائر، فلا يعلق على أحدهما دون الآخر.

٦ ـ الموعظة الحسنة قد تفيد الموعوظ وإن كان منافقاً، فإنّ ما تنطوي عليه قلوبهم ينبغي أن توكل إلى الله عز وجل، وليس للواعظ إلاّ ظواهرهم.

٧ ـ ينبغي أن يتدرّب الواعظ على عدم قصر نشاطه في الوعظ على طائفة المستجيبين فحسب، بل ينبغي أن يمتدّ نشاطه إلى مساحة أكبر من المدعوين.

٨ ـ ينبغي أن يركزّ الواعظ في موعظته دائماً على سماحة الإسلام، ويسير تكاليفه، وأنه لو كان الدين صعباً شاقاً لربما صعب التدين به، ولذا

فإنه مما يتعيّن على العاقل قبوله، وشكر المنعم على إحسانه وفضله.

٩ ـ إبراز الداعية بعضاً مما ورد من الفضل لمن قبل الموعظة من الخيرية، وحصول التثبيت والثبات وزيادته، وحصول الأجر العظيم، والهداية إلى الصراط المستقيم.

١٠ ـ ينبغي على الدعاة إلى الله عدم الالتفات إلى أقوال المرجفين والمخذّلين فإنها تصدّ عن ذكر الله.

١١ ـ إن أبرز هدف للواعظ هو: إيصال موعظته الحسنة بشكل مقبول ومؤثر، ليتحقق الإعذار أمام الله تعالى، ولعلّ هؤلاء الموعوظين يتأثرون، ويقبلون هذه الموعظة، وتجد الموعظة مكاناً لها في قلوبهم.

١٢ ـ اشتمال القرآن الكريم على المواعظ العظيمة، وزواجر الفواحش الأثيمة، التي ينبغي أن ينفذ من خلال توجيهاتها ووصاياها الوعاظ في مواعظهم.

١٣ ـ وعظ الله تعالى لنبيه نوح عليه السلام بالبراءة من ولده الكافر، الذي لم يقبل الهدى، والذي أغرقه الله مع من غرق حتى لايكون من الجاهلين.

١٤ ـ إنّ الدعاة إلى الله تعالى بحاجة ماسّة ـ كما يحتاج غيرهم ـ إلى موعظة خاصة، ترقّق قلوبهم، وتؤنسهم، وتذكرهم بالله تعالى وبفضله وكرمه، وبشديد عقابه وعذابه.

١٥ ـ قصّ القرآن الكريم أحوال الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام لتثبيت قلب الرسول ﷺ، وليتعظ ويتذكر من يستفيد من المواعظ، ومن له قلب ذكي، وعقل زكي.

١٦ ـ أجمع آية في القرآن الكريم اشتملت على الموعظة لأهميتها في حياة الناس، وضرورة مراعاة الدعاة إلى الله لشأنها ومكانتها.

١٧ ـ الموعظة الحسنة أسلوب دعوي فريد يقوم على الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

١٨ ـ ينبغي تركيز الوعاظ بتكرار مواعظهم على أولئك التائبين؛ فإنّ تكرار الموعظة على التائب مما يجعله يتمسك بطريق الاستقامة، وتكون توبته نصوحاً.

١٩ ـ للموعظة الحسنة أثر كبير في أن يتعظ المتقون، فيكفوا عما يكره الله إلى مايحبه الله عز وجل.

٢٠ ـ بروز الموعظة الحسنة في وصية لقمان الحكيم ـ رحمه الله ـ لابنه، فوعظه بأن أمره بما يجب، ونهاه عما يحرم.

٢١ ـ استخدام أسلوب الموعظة الحسنة مع المتظاهرين من الزوجين له أثرٌ كبير في حسن العشرة بينهما.

٢٢ ـ ضبط الأحكام الشرعية المتعلقة بالمطلقة يوعظ به المؤمنون الصادقون.

الفصل الخامس
آيات البلاغ والدروس المستنبطة منها

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول:

آيات البلاغ وشروحها.

المبحث الثاني:

الدروس الدعوية المستنبطة من آيات البلاغ.

المبحث الأول
آيات البلاغ وشروحها

قال الله تعالىٰ:

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾(١).

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

لَمَّا بيّن الله تعالىٰ أن الدين الحقيقي عنده الإسلام، وكان أهل الكتاب قد شافهوا النبي ﷺ بالمجادلة، وقامت عليهم الحجة فعاندوها، أمره الله تعالىٰ عند ذلك، أن يقول ويعلن: أنه أسلم وجهه، أي: ظاهره وباطنه، وأنّ من اتبعه كذلك، قد وافقه علىٰ هذا الإذعان الخالص، وأن يقول للناس كلهم من أهل الكتاب والأميين، أي: الذين ليس لهم كتاب من العرب وغيرهم: إن أسلمتم فأنتم علىٰ الطريق المستقيم والهدىٰ والحق، وإن توليتم فحسابكم علىٰ الله، وأنا ليس عليّ إلاّ البلاغ، وقد أبلغتكم وأقمت عليكم الحجة(٢).

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾(٣).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالىٰ مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ باسم الرسالة، وآمراً له

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٢٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ١٠٣.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٧.

بإبلاغ جميع ما أرسله الله به، وقد امتثل ﷺ ذلك وقام به أتمّ القيام.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «من حدثك أنّ محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب، والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾»(١) الآية.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من القرآن لكتم هذه الآية: ﴿تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾(٢)».

وقال الزهري رحمه الله:

من الله: الرسالة، وعلى الرسول: البلاغ، وعلينا التسليم، وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة، وأداء الأمانة، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبته يوم حجة الوداع، وقد كان هناك من أصحابه رضي الله عنهم نحو أربعين ألفاً(٣).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

هذا أمر من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ بأعظم الأوامر وأجلّها، وهو: التبليغ لما أنزل الله إليه، ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ من العقائد، والأعمال، والأحكام الشرعية، والمطالب الإلهية، فبلغ ﷺ أكمل تبليغ، ودعا، وأنذر، وبشّر، ويسّر، وعلّم الجهال الأميين حتى صاروا من

(١) أخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ ٥/ ٢٢٣ رقم ٤٦١٢.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٧، والحديث أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم ٨/ ٢٢١ ـ ٢٢٢ رقم ٧٤٢٠، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: معنى قول الله عز وجل: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ ١٣ النجم، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء؟ ١/ ١٦٠ رقم ١٧٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٨٧ ـ ٨٨.

العلماء الربانيين، وبلغ بقوله، وفعله، وكتبه، ورسله، فلم يبق خيرٌ إلا دلّ أمته عليه، ولا شّر إلاّ حذرها منه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة رضوان الله عليهم، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين(١).

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾(٢).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول هود عليه السلام لقومه: فإن توليتم عمّا جئتكم به من عبادة الله ربكم وحده لا شريك له، فقد قامت عليكم الحجة بإبلاغي إياكم رسالة الله التي بعثني بها ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يعبدونه وحده، ولايشركون به، ولا يبالي بكم فإنكم لاتضرونه بكفركم، بل يعود وبال ذلك عليكم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ أي: شاهد وحافظ لأقوال عباده وأفعالهم، ويجزيهم عليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر(٣).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عما دعوتكم إليه ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ فلم يبق عليَّ تبعة من شأنكم(٤).

★ ★ ★

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٢٠١.
(٢) سورة هود، آية: ٥٧.
(٣) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٤٩٣.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٣٤٠.

قال الله تعالىٰ:

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول الله تعالىٰ لرسوله: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾ يا محمد، بعض الذي نعد أعداءك من الخزي والنكال في الدنيا ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ أي: قبل ذلك ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ أي: إنما أرسلناك لتبلغهم رسالة الله، وقد فعلت ما أمرت به ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ أي: حسابهم وجزاؤهم(٢).

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

يقول تعالىٰ لنبيه محمد ﷺ: لاتعجل عليهم بإصابة مايوعدون من العذاب، فهم إن استمروا علىٰ طغيانهم وكفرهم فلابدّ أن يصيبهم ما وعدوا به ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾ إياه في الدنيا، فتقرّ بذلك عينك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل إصابتهم، فليس ذلك شغلاً لك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ والتبيين للخلق ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ فنحاسب الخلق علىٰ ما قاموا به، بما عليهم، أو ضيّعوه، ونثيبهم أو نعاقبهم(٣).

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾(٤).

---

(١) سورة الرعد، آية: ٤٠.
(٢) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٥٧١.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٣٧٤.
(٤) سورة إبراهيم، آية: ٥٢.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالىٰ هذا القرآن بلاغ الناس كقوله: ﴿لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾[١] أي: هو بلاغ لجميع الخلق من إنس وجن[٢].

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله:

﴿هَذَا﴾ إشارة إلىٰ القرآن، أو السورة ﴿بَلاغٌ لِلنَّاسِ﴾ أي: كفاية لهم لما فيه من العظة والتذكير ﴿وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ أي: ليخوفوا وليوعظوا به عن الجرائم التي أخذ بها الأولون ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أي: يستدلوا بما فيه من الحجج والدلائل علىٰ أنه لا إله إلاّ هو، وإنما قدّم إنذارهم لأنهم إذا خافوا ما أنذروا به، دعتهم المخافة إلىٰ النظر حتىٰ يتوصلوا إلىٰ التوحيد، لأن الخشية أمّ الخير كلّه ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ أي: ليتعظ به ذوو العقول، فيقبلوا علىٰ مافيه نجاتهم وسعادتهم[٣].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ﴾ أي: يتبلّغون به، ويتزودون إلىٰ الوصول إلىٰ أعلىٰ المقامات وأفضل الكرامات، لما اشتمل عليه من الأصول والفروع، وجميع العلوم التي يحتاجها العباد ﴿وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ لما فيه من الترهيب من أعمال الشرّ، والبراهين علي ألوهيته ووحدانيته، ما صار ذلك حق اليقين ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ أي: العقول الكاملة، ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه، وبذلك صاروا أولي الألباب والبصائر. إذ بالقرآن ازدادت معارفهم وآراؤهم، وتنوّرت أفكارهم لمّا أخذوه غضّاً طريّاً، فإنه لايدعو إلاّ إلىٰ أعلىٰ الأخلاق والأعمال وأفضلها، ولايستدلّ علىٰ ذلك إلاّ بأقوىٰ الأدلة وأبينها.

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٦٠٠.

(٣) محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ١٠/ ٤٤.

وهذه القاعدة إذا تدرّب بها العبد الذكي لم يزل في صعود ورقي على الدوام في خصلة حميدة[١].

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى عن اغترار المشركين بما هم فيه من الإشراك، واعتذارهم محتجين بالقدر بقولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ أي: من البحائر والسوائب والوصائل وغير ذل مما كانوا ابتدعوه واخترعوه من تلقاء أنفسهم مالم ينزل به سلطاناً، ومضمون كلامهم: أنه لو كان تعالى كارهاً لما فعلنا لأنكره علينا بالعقوبة، ولما مكننا منه، قال الله تعالى ردّاً عليهم شبهتهم: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: ليس الأمر كما تزعمون أنه لم ينكره عليكم، بل قد أنكره عليكم أشد الإنكار، ونهاكم عنه آكد النهي، وبعث في كل أمة، أي: في كل قرن وطائفة رسولاً، وكلهم يدعون إلى عبادة الله، وينهون عن عبادة ماسواه[٣].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: الظاهر الذي يصل إلى القلوب،

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٣٨٢.
(٢) سورة النحل، آية: ٣٥.
(٣) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٦٢٦.

ولا يبقى لأحد على الله حجة، فإذا بلغتهم الرسل أمر ربّهم ونهيه، واحتجوا عليهم بالقدر، فليس للرسل من الأمر شيء، وإنما حسابهم على الله عز وجل[١].

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي بعد هذا البيان وهذا الامتنان فلا عليك يا محمد منهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ وقد أديته إليهم[٣].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الله وعن طاعته بعد ما ذكّروا بنعمه وآياته ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ ليس عليك من هدايتهم وتوفيقهم شيء، بل أنت مطالب بالوعظ والتذكير، والإنذار والتحذير، فإذا أديت ما عليك فحسابهم على الله[٤].

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[٥].

---

(١) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٣٩٣.
(٢) سورة النحل، آية: ٨٢.
(٣) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير / ٦٣٩.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٣٩٨.
(٥) سورة العنكبوت، آية: ١٨.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ أي: فبلغكم ما حلّ بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ يعني إنما علىٰ الرسول أن يبلغكم ما أمره الله تعالىٰ به من الرسالة، والله يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء، فاحرصوا لأنفسكم أن تكونوا من السعداء.

وقال قتادة رحمه الله: يعزّي الله نبيه محمداً ﷺ بما حصل من الأمم السابقة مع رسلها عليهم أفضل الصلاة والسلام[1].

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[2].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يمدح تبارك وتعالىٰ ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ﴾ أي: إلىٰ خلقه ويؤدونها بأماناتها ﴿وَيَخْشَوْنَهُ﴾ أي: يخافونه، ولا يخافون أحداً سواه، فلا تمنعهم سطوة عن إبلاغ رسالات الله تعالىٰ ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ أي: وكفىٰ بالله ناصراً ومعيناً.

وسيد الناس في هذا المقام، بل وفي كل مقام: محمد رسول الله ﷺ، فإنه قام بأداء الرسالة، وإبلاغها إلىٰ أهل المشارق والمغارب، إلىٰ جميع أنواع بني آدم، وأظهر الله تعالىٰ كلمته ودينه وشرعه علىٰ جميع الأديان والشرائع، فإنه قد كان النبي قبله إنما يبعث إلىٰ قومه خاصة، وأما هو ﷺ فإنه بعث إلىٰ

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٣/ ٤٤٩.
(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٩.

جميع الخلق، عربهم وعجمهم ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾(١).

ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده، فكان أعلىٰ من قام بعده أصحابه رضي الله عنهم، بلغوا عنه كما أمرهم في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، في ليله ونهاره، وحضره وسفره، وسره وعلانيته، فرضي الله عنهم وأرضاهم، ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلىٰ زماننا هذا، فبنورهم يقتدي المهتدون، وعلىٰ منهجهم يسلك الموفقون، فنسأل الله الكريم المنّان أن يجعلنا من خلفهم(٢).

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾(٣).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

أرسل الله سبحانه ثلاثة من الرسل إلىٰ أهل أنطاكيّة عبدة الأصنام فكذبوهم، فما كان من الأنبياء إلاّ أن أفصحوا عن مهمتهم ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ يقولون: إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم، فإذا أطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والآخرة، وإن لم تجيبوا فستعلمون غبّ ذلك(٤).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: البلاغ المبين الذي يحصل به توضيح

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.
(٢) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٣/ ٥٤١ ـ ٥٤٢.
(٣) سورة يس، آية: ١٧.
(٤) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير رحمه الله ٣/ ٦٢٣.

الأمور المطلوب بيانها، وماعدا هذا من آيات الاقتراح، أو من سرعة العذاب فليس إلينا، وإنما وظيفتنا التي هي البلاغ المبين قمنا بها، وبيناها لكم، فإن اهتديتم فهو حظكم وتوفيقكم، وإن ضللتم فليس لنا من الأمر شيء[١].

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ﴾[٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا ﴾ يعني المشركين ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ أي: لست عليهم بمسيطر ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ ﴾ أي: إنما كلفناك أن تبلغهم رسالة الله إليهم[٣].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عمّا جئتم به بعد البيان التام ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ تحفظ أعمالهم وتسأل عنها ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾ فإذا أديت ما عليك فقد وجب أجرك علىٰ الله سواء استجابوا أم أعرضوا، وحسابهم علىٰ الله الذي يحفظ عليهم صغير أعمالهم وكبيرها وظاهرها وباطنها[٤].

★ ★ ★

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٦٤٠.
(٢) سورة الشورىٰ، آية: ٤٨.
(٣) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٤/ ١٢٦ ـ ١٢٧.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٧٠٧.

قال الله تعالىٰ:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: إن نكلتم عن العمل فإنما عليه ما حمل من البلاغ، وعليكم ماحملتم من السمع والطاعة.

قال الزهري رحمه الله: من الله: الرسالة، وعلىٰ الرسول: البلاغ، وعلينا التسليم(٢).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: عن طاعة الله تعالىٰ وطاعة رسوله ﷺ ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: يبلغكم ما أرسل به إليكم بلاغاً بيناً واضحاً، فتقوم عليكم به الحجة، وليس بيده من هدايتكم، ولا من حسابكم شيء، وإنما يحاسبكم علىٰ القيام بطاعة الله ورسوله، أو عدم ذلك، عالم الغيب والشهادة(٣).

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾(٤).

---

(١) سورة التغابن، آية: ١٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٤/ ٣٩٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٨٠٤.

(٤) سورة الجن، آية: ٢٣.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

أي لن يجيرني منه، ويخلصني إلا إبلاغي الرسالة التي أوجب أداءها عليّ، فأنا أبلغكم رسالة الله، فمن يعص بعد ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم، خالدين فيها، أي: لا محيد لهم عنها، ولا خروج لهم منها[١].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ﴾ أي: ليس لي مزية على الناس إلاّ أنَّ الله خصّني بإبلاغ رسالاته ودعوة خلقه إليه، وبذلك تقوم الحجة على الناس[٢].

★ ★ ★

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٤/ ٤٥٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٨٢٦.

المبحث الثاني
الدروس الدعوية المستنبطة من آيات البلاغ

١ ـ إنّ من المهام الرئيسة لنبي الله محمد ﷺ هي بلاغ العباد من الأميين ومن أهل الكتاب بالدين الحق.

٢ ـ ضرورة اقتداء الدعاة بمحمد ﷺ في عنايته بالبلاغ وقيامهم به على أتم وجه وأكمله.

٣ ـ إن بلاغ الديانة واجب في حقِّ الرسول ﷺ، وقد عصم من الخطأ في تبليغ الديانة، لتعبد البشرية ربها على صواب.

٤ ـ عدم التعويل على ترك بلاغ الكافرين بحجة كفرهم، بل إن بلاغهم واجب لتقوم الحجة عليهم يوم القيامة.

٥ ـ لايضيق صدر الداعية في عدم قبول قومه بلاغه، فلربّما كان قبول البلاغ المبين مؤجلاً لقوم آخرين مستخلفين، وكانوا من أصلاب هؤلاء الذين يرفضون هذا البلاغ.

٦ ـ قدرة الله تعالى في حفظه كل شيء، ومن ذلك: الجهود المبذولة في البلاغ ونتيجة ذلك.

٧ ـ ينبغي على الداعية المبلغ عدم استعجال نتائج البلاغ، أو حصول العقوبات على غير المستجيبين للبلاغ، فإن حسابهم على الله تعالى.

٨ ـ القرآن الكريم هو معجزة الإسلام، وهو البلاغ الكامل للناس أجمعين، ففيه: الأمر بإفراد العبادة لله، وفيه الإنذار بوعيد الله، وفيه الذكرى لأهل العقول النيّرة.

٩ ـ إن أبرز وظائف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام القيام بالبلاغ المبين

لأقوامهم، وقد قاموا به خير قيام.

١٠ ـ حجة الأغبياء، ومن لبَّس عليهم الشيطان في كل زمان بالقدر، ولذا فإنه يحسن بالدعاة إبراز جهود الأنبياء في قيامهم بالبلاغ المبين، وأنّ من احتج بالقدر كانت حجته عليه؛ لأن من أساء فقد أساء على نفسه، خاصة وأنّ الصراط المستقيم قد استبان بعد البلاغ المبين على ألسنة الأنبياء، والدعاة، والنذر.

١١ ـ كثير من الآيات القرآنية تبرز أهمية البلاغ المبين الموصلة لهداية الدلالة والإرشاد، والتي يطالب بتحقيقها الأنبياء، والدعاة، والنذر، وأمّا هداية التوفيق والإلهام فهي خاصة بالله جلّ جلاله.

١٢ ـ ضرورة تحمّل الدعاة إذا كذِّبوا وهم يبلغون البلاغ المبين وصبرهم على مايصيبهم من الأذى في ذلك.

١٣ ـ ثناء الله عز وجل على أولئك الذين يبلِّغون رسالات الله، ولا يخافون في الله لومة لائم.

١٤ ـ تمثّل الرسل الثلاثة الذين أرسلوا إلى أنطاكية مايسوغ لهم، فقد أفصحوا عن مهمتهم وهي البلاغ المبين.

١٥ ـ الويل والثبور لمن نكص عن قبول البلاغ المبين فإنّ الحجة قامت عليه يوم القيامة.

★ ★ ★

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل السادس
آيات الإصلاح والدروس المستنبطة منها

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول:

آيات الإصلاح وشروحها.

المبحث الثاني:

الدروس الدعوية المستنبطة من آيات الإصلاح.

المبحث الأول
آيات الإصلاح وشروحها

قال الله تعالىٰ:

﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيم ﴾[1].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

جاء أول الآيات فيه وعد شديد لمن كتم ما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام من الدلالات البيّنة علىٰ المقاصد الصحيحة والهدي النافع للقلوب، من بعد ما بيّنه الله تعالىٰ في كتبه التي أنزلها علىٰ رسله، ثم جاء بعد ذلك: الاستثناء ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ أي: رجعوا عمّا كانوا فيه وأصلحوا أعمالهم، وبيّنوا للناس ما كانوا يكتمونه ﴿فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيم ﴾ في هذا دلالة علىٰ أن الداعية إلىٰ كفر، أو بدعة، إذا تاب إلىٰ الله تاب الله عليه[2].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا﴾ أي: رجعوا عما هم عليه من الذنوب، ندماً وإقلاعاً وعزماً علىٰ عدم المعاودة ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ مافسد من أعمالهم، فلا يكفي ترك القبيح حتىٰ يحصل فعل الحسن، ولايكفي ذلك في الكاتم أيضا، حتىٰ يبين ما كتمه، ويبدي ضد ما أخفىٰ، فهذا يتوب الله عليه، لأن توبة الله غير محجوب عنها، فمن أتىٰ بسبب التوبة تاب الله عليه[3].

★ ★ ★

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٦٠.
(٢) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ١/ ٢١٤.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٦٠.

قال الله تعالىٰ:

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

الجنف: هو الخطأ، وهذا يشمل أنواع الخطأ، بأن زادوا وارثاً بواسطة أو وسيلة، كما إذا أوصىٰ ببيعة الشيء الفلاني محاباة، أو أوصىٰ لابن ابنته ليزيدها، أو نحو ذلك من الوسائل إما مخطئاً غير عامد، بل بطبعه وقوة شفقته من غير تبصّر، أو متعمداً آثماً في ذلك، فللوصي والحالة هذه أن يصلح القضية، ويعدل في الوصية علىٰ الوجه الشرعي، ويعدل عن الذي أوصىٰ به الميت إلىٰ ماهو أقرب الأشياء إليه، وأشبه الأمور به، جمعاً بين مقصود الموصي والطريق الشرعي، وهذا الإصلاح والتوفيق ليس من التبديل في شيء(٢).

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله:

﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بأمر رضي به الكل ﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ لأن الصلح جائز إلا صلحاً أحلّ حراماً أو حرَّم حلالاً(٣).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

وأما القضية التي فيها حيف وجنف وإثم، فينبغي لمن حضر وقت الوصية بها أن ينصحه بما هو الأحسن والأعدل، وأن ينهاه عن الجور، والجنف: هو الميل بها عن خطأ من غير تعمد، والإثم: هو التعمد لذلك، فإن لم يفعل

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ١/ ٢٢٧.

(٣) محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ٣/ ٧٤.

ذلك، فينبغي أن يصلح بين الموصىٰ إليهم، ويتوصّل إلىٰ العدل بينهم علىٰ وجه التراضي والمصالحة، ووعظهم بتبرئة ذمّة ميتهم، فهذا قد فعل معروفاً عظيماً، وليس عليهم كما علىٰ مبدِّل الوصية الجائزة [١].

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٣] وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[٤] انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتىٰ يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا لرسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ أي: يعلم من قصده ونيته الإفساد أو الإصلاح ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: ولو شاء الله لضيق عليكم وأحرجكم، ولكنه وسّع عليكم، وخفّف عنكم، وأباح لكم مخالطتهم بالتي هي أحسن [٥].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٦٨.
(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٠.
(٣) سورة الإسراء، آية: ٣٤.
(٤) سورة النساء، آية: ١٠.
(٥) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ١/ ٢٧٥.

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله:

﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ أي: مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم خيرٌ من مجانبتهم، وإنما أقيم ـ الإصلاح ـ غاية المداخلة مقامها، تنبيهاً على أن المأمور به مداخلة يكون ترتّب الإصلاح عليها ظاهراً كأنها عين الإصلاح [١].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

أخبرهم تعالى أن المقصود إصلاح أموال اليتامى، بحفظها وصيانتها، والاتجار بها، وأن خلطتهم إياهم في طعام وغيره جائز على وجه لايضرّ باليتامى لأنهم إخوانكم، ومن شأن الأخ مخالطة أخيه، والمرجع في ذلك إلى النية والعمل، فمن علم من نيته أنه مصلح لليتيم، وليس له طمع في ماله، فلو دخل عليه شيء ـ من غير قصد ـ لم يكن عليه بأس.

ومن علم الله من نيته أنّ قصده بالمخالطة التوصّل إلى أكلها، فذلك الذي هو حرج وإثم، والوسائل لها أحكام المقاصد [٢].

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [٣].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

أي: واللذان يفعلان الفاحشة فآذوهما، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: بالشتم والتعيير والضرب بالنعال، وكان الحكم كذلك في أول

(١) محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ٣/ ٢١٦.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٨١ ـ ٨٢.
(٣) سورة النساء، آية: ١٦.

الإسلام حتىٰ نسخه الله بالجلد أو الرجم ﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا﴾ أي: أقلعا ونزعا عمّا كانا عليه وصلحت أعمالهما وحسنت ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَ﴾ أي: لا تعنفوهما بكلام قبيح بعد ذلك لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له[١].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

فكان الأمر في أول الإسلام كذلك حتىٰ جعل الله لهنّ سبيلاً وهو رجم المحصن والمحصنة، وجلد غير المحصن والمحصنة.

﴿فَإِن تَابَا﴾ أي: رجعا عن الذنب الذي فعلاه، وندما عليه، وعزما أن لايعودا ﴿وَأَصْلَحَا﴾ العمل الدال علىٰ صدق التوبة ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ أي: عن أذاهما ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ أي: كثير التوبة علىٰ المذنبين الخطائين، عظيم الرحمة والإحسان، الذي ـ من إحسانه ـ وفقهم للتوبة، وقبلها منهم، وسامحهم عن ما صدر منهم[٢].

* * *

قال الله تعالىٰ:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[٣].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال الفقهاء: إذا وقع الشقاق بين الزوجين، أسكنها الحاكم إلىٰ جنب ثقة ينظر في أمرها، ويمنع الظالم منهما من الظلم، فإن تفاقم أمرهما وطالت خصومتهما، بعث الحاكم ثقة من أهل المرأة، وثقة من قوم الرجل ليجتمعا

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ١/ ٥٠٣.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ١٣٦ ـ ١٣٧.
(٣) سورة النساء، آية: ٣٥.

فينظرا في أمرهما ويفعلا مافيه المصلحة مما يريانه من التفريق أو التوفيق، وتشوّق الشارع إلى التوفيق، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعثت أنا ومعاوية حكمين[١].

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله:

﴿ فَابْعَثُوا﴾ أي: إلى الزوجين لإصلاح ذات البين وتبيّن الأمر ﴿حَكَمًا﴾ أي: رجلاً صالحاً للحكومة والإصلاح، ومنع الظالم من الظلم ﴿مِّنْ أَهْلِهِ﴾ أي: من أقارب الزوج ﴿وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ أي من أقارب الزوجة، فإن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال، وأطلب للإصلاح، فيلزمهما أن يخلوا ويستكشفا حقيقة الحال، فيعرفا أن رغبتهما في الإقامة أو الفرقة ﴿ إِن يُرِيدَا﴾ أي: الحكمان ﴿إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ أي: يوقع بينهما الموافقة فيتفقان على الكلمة الواحدة، ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد، أو الضمير الأول: للحكمين، والثاني: للزوجين، أي: إن قصدا إصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة، وقلوبهما ناصحة لوجه الله، بورك في وساطتهما، وأوقع الله بحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والألفة، وألقى في نفوسهما المودة والرحمة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ بظواهر الحكمين وبواطنهما، إن قصدا إفساداً يجازيهما عليه، وإلا يجازيهما على الإصلاح[٢].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

أي: وإن خفتم الشقاق بين الزوجين، والمباعدة والمجانبة حتى يكون كل منهما في شق ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ أي: رجلين مكلفين،

---

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ١/ ٥٣٩.

(٢) محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ٥/ ١٣٥ ـ ١٣٦.

مسلمين، عدلين، عاقلين يعرفان ما بين الزوجين، ويعرفان الجمع والتفريق، فينظران ماينقم كل منهما على صاحبه، ثم يلزمان كلاً منهما مايجب، فإن لم يستطع أحدهما ذلك، أقنعا الزوج الآخر بالرضا بما تيسر من الرزق والخلق، ومهما أمكنهما الجمع والإصلاح فلا يعدلا عنه.

فإن وصلت الحال إلى أنه لايمكن اجتماعهما وإصلاحهما إلا على المعاداة والمقاطعة، ومعصية الله، ورأيا أن التفريق بينهما أصلح، فرقا بينهما، ولايشترط رضا الزوج كما يدل عليه أن الله سبحانه سماهما الحكمين، والحكم يحكم وإن لم يرض المحكوم عليه ولهذا قال: ﴿إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ أي: بسبب الرأي الميمون، والكلام الذي يجذب القلوب ويؤلف بين القرينين(١).

★ ★ ★

قال الله تعالى:

﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٢).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ ﴾ يعني كلام الناس ﴿إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ أي: إلاّ نجوى من قال ذلك(٣).

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله:

لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث، ثم استثنى

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ١٤٢.
(٢) سورة النساء، آية: ١١٤.
(٣) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ١/ ٦١٠.

النجوىٰ في أعمال الخير ﴿إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾، فالإصلاح بين الناس: يعني الإصلاح بين المتباينين والمتخاصمين ليتراجعا إلىٰ ما كانا فيه من الألفة والاجتماع، علىٰ ما أذن الله فيه وأمر به، وسر النجوىٰ فيه أنه لو ظهر أولاً ربما لم يتم(١).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

أي: لا خير في كثير مما يتناجىٰ به الناس ويتخاطبون، وإذا لم يكن فيه خير، فإما لا فائدة فيه، كفضول الكلام المباح، وإما شر ومضرة محضة كالكلام المحرم بجميع أنواعه، ثم استثنىٰ تعالىٰ فقال: ﴿إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ من مال أو علم أو أي نفع كان، ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ وهو الإحسان والطاعة، وكل ماعرف في الشرع والعقل حسنه، ﴿أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ والإصلاح لايكون إلا بين متنازعين متخاصمين، والنزاع، والخصام، والتغاضب، يوجب من الشر والفرقة مالا يمكن حصره، فلذلك حثّ الشارع علىٰ الإصلاح بين الناس في الدماء والأموال والأعراض بل وفي الأديان(٢).

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٢٨) وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٣).

---

(١) محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ٥/ ٤٥٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ١٦٥.

(٣) سورة النساء، اية: ١٢٨ ـ ١٢٩.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: خشيت سودة بنت زمعة رضي الله عنها أن يطلقها رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله لاتطلقني واجعل يومي لعائشة ففعل(١).

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله:

سئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن هذه الآية؟ فقال: هذه المرأة تكون عند الرجل قد خلا من سنّها، فيتزوج المرأة الشابة، يلتمس ولدها، فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز(٢).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

إذا خافت المرأة نشوز زوجها أي ترفعه عنها، وعدم رغبته فيها، وإعراضه عنها، فالأحسن في هذه الحالة أن يصلحا بينهما صلحاً بأن تسمح المرأة عن بعض حقوقها اللازمة لزوجها، على وجه تبقى مع زوجها، إمّا أن ترضى بأقلّ من الواجب لها من النفقة أو الكسوة أو المسكن أو القسم بأن تسقط حقها منه، أو تهب يومها وليلتها لزوجها، أو لضرتها. فإذا اتفقا على هذه الحالة فلا جناح ولا بأس عليهما فيها، ولا عليها ولا على الزوج، فيجوز حينئذ لزوجها البقاء معها على هذه الحال، وهي خيرٌ من الفرقة ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾. ويؤخذ من عموم هذا اللفظ والمعنى، أنّ الصلح بين مَنْ بينهما حق أو منازعة في جميع الأشياء، أنه خير من استقصاء كل منهما على كل حقه، لما فيه من الإصلاح وبقاء الإلفة والاتصاف بصفة السماح، وهو جائز في جميع الأشياء إلاّ إذا أحل حراماً، أو حرم حلالاً، فإنه لايكون صلحاً، وإنما يكون

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ١/ ٦١٩.
(٢) محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ٥/ ٥٠٨.

جوراً، واعلم أنّ كل حكم من الأحكام، لايتم، ولايكمل، إلاّ بوجود مقتضيه وانتفاء موانعه، فمن ذلك: هذا الحكم الكبير الذي هو الصلح[١].

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

أي: مبشرين عباد الله المؤمنين بالخيرات، ومنذرين من كفر بالله النقمات والعقوبات، ولهذا قال: ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ﴾ أي: فمن آمن قلبه بما جاءوا به، وأصلح عمله باتباعه إياهم ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: بالنسبة لما يستقبلونه ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: بالنسبة إلىٰ ما فاتهم وتركوه وراء ظهورهم من أمر الدنيا وصنيعها، الله وليّهم فيما خلفوه، وحافظهم فيما تركوه[٣].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

يذكر تعالىٰ زبدة ما أرسل به المرسلين أنه البشارة والنذارة، وذلك مستلزم لبيان المبشِّر، والمبشَّر به، والأعمال التي إذا عملها العبد حصلت له البشارة، والمنذِر والمنذَر به، والأعمال التي مَنْ عملها حقت عليه النذارة، ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ﴾ أي: آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأصلح إيمانه، وأعماله، ونيته ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبل ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فيما مضىٰ[٤].

★ ★ ★

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ عبدالرحمن السعدي ١٧٠.
(٢) سورة الأنعام، آية: ٤٨.
(٣) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ١٥٠.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٢١٩.

قال الله تعالىٰ:

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾[١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

أي: اعتصموا به واقتدوا بأوامره، وتركوا زواجره[٢].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

وإنما العقلاء حقيقة من وصفهم الله بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ أي: يتمسكون به علماً وعملاً، فيعلمون مافيه من الأحكام والأخبار التي علمها أشرف العلوم، ويعلمون بما فيها من الأوامر والتي هي قرّة العيون، وسرور القلوب، وأفراح الأرواح، وصلاح الدنيا والآخرة. ومن أعظم مايجب التمسك به من المأمورات: إقامة الصلاة ظاهراً وباطناً، ولهذا خصّها بالذكر لفضلها وشرفها وكونها ميزان الإيمان، وإقامتها داعية لإقامة غيرها من العبادات، ولما كان عملهم كله إصلاحاً، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ في أقوالهم وأعمالهم ونياتهم، مصلحين لأنفسهم ولغيرهم، وهذه الآية وما أشبهها دلّت علىٰ أنّ الله بعث رسله عليهم الصلاة والسلام بالصلاح لا بالفساد، وبالمنافع لا بالمضار، وأنّهم بعثوا بصلاح الدارين، فكل من كان أصلح كان أقرب إلىٰ اتباعهم[٣].

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ

(١) سورة الأعراف، آية: ١٧٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٢٨٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٢٧١.

بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: اتقوا الله في أموركم، وأصلحوا فيما بينكم، ولاتظالموا، ولا تخاصموا، ولا تشاجروا، فما آتاكم الله من الهدىٰ والعلم خير مما تختصمون بسببه ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: في قسمه بينكم علىٰ ما أراد الله، فإنه إنما يقسمه كما أمره الله من العدل والإنصاف.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا تحريج من الله ورسوله أن يتقوا ويصلحوا ذات بينهم.

وقال السدي رحمه الله: أي لاتستبّوا.

وقد روىٰ الحافظ أبو يعلىٰ في مسنده عن أنس رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتىٰ بدت ثناياه، فقال عمر رضي الله عنه: ما أضحكك يا رسول بأبي أنت وأمي؟ فقال: (رجلان من أمتي جثيا بين يدي ربِّ العزة تبارك وتعالىٰ، فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي. فقال الله تعالىٰ: أعط أخاك مظلمته، قال: يا رب لم يبق من حسناتي شيء. قال: ربِّ فليحمل عنِّي من أوزاري). قال: فغاصت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال: (إن ذلك ليوم عظيم، يوم يحتاج الناس إلىٰ من يتحمل عنهم من أوزارهم، فقال الله تعالىٰ للطالب: ارفع بصرك وانظر في الجنان، فرفع رأسه فقال: يارب أرىٰ مدائن من فضّة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ، لأيِّ نبي هذا؟ لأيِّ صديق هذا؟ لأيِّ شهيد هذا؟ قال: هذا لمن أعطىٰ ثمنه، قال: رب ومن يملك ثمنه؟ قال: أنت تملكه، قال: ماذا يا رب؟ قال: تعفو عن أخيك، قال: يا رب، فإني قد عفوت عنه، قال الله تعالىٰ: خذ بيد

(١) سورة الأنفال، آية: ١.

أخيك، فادخلا الجنة) ثم قال رسول الله ﷺ: (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله تعالىٰ يصلح بين المؤمنين يوم القيامة)(١).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

يدخل في إصلاح ذات البين: تحسين الخلق لهم، والعفو عن المسيئين منهم، فإنه ـ بذلك ـ يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء والتدابر(٢).

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾(٣).

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

فإنهم لايريدون بذلك نصر الباطل علىٰ الحق، وأي فساد أعظم من هذا؟ وهكذا كل مفسد عمل عملاً، واحتال كيداً، أو أتىٰ بمكر فإن عمله سيبطل ويضمحل، وإن حصل لعمله رواج في وقت ما، فإن مآله الاضمحلال والمحق.

وأما المصلحون الذين قصدهم بأعمالهم وجه الله تعالىٰ، وهي أعمال ووسائل نافعة مأمور بها، فإنّ الله يصلح أعمالهم ويرقيها، وينميها علىٰ الدوام(٤).

★ ★ ★

(١) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٣١٦.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٢٧٧.
(٣) سورة يونس، آية: ٨١.
(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٣٢٧.

قال الله تعالىٰ :

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(١) .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر شعيب عليه السلام قومه قائلا : هل رأيتم يا قوم ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي : علىٰ بصيرة فيما أدعو إليه ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ قيل أراد النبوة ، وقيل : أراد الرزق الحلال ويحتمل الأمرين ، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ أي : لا أنهاكم عن الشيء وأخالف وأرتكبه ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ أي : فيما آمركم وأنهاكم ، إنما أريد إصلاحكم جهدي وطاقتي ﴿وَمَا تَوْفِيقِي﴾ أي : في إصابة الحق فيما أريده ﴿إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في جميع أموري ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أي أرجع (٢) .

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله:

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ أي : إصلاح نفوسكم بالتزكية ، والتهيئة لقبول الحكمة مادمت مستطيعاً متمكناً منه ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ أي : وماكوني موفقاً للإصلاح إلاّ بمعونة الله وتأييده ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي : أعتمد ، ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أي : أرجع في السراء والضراء(٣) .

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ أي : ليس لي من المقاصد إلاّ أن تصلح

---

(١) سورة هود ، آية : ٨٨ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٢/ ٥٠٠ .

(٣) محاسن التأويل ـ الشيخ : محمد جمال الدين القاسمي ٩/ ١٦٣ .

أحوالكم، وتستقيم منافعكم، وليس لي من المقاصد الخاصة لي وحدي شيء بحسب استطاعتي، ولما كان هذا فيه نوع تزكية للنفس، دفع هذا بقوله: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ أي: مايحصل لي من التوفيق لفعل الخير، والانفكاك عن الشر إلاّ بالله تعالىٰ، لا بحولي ولا بقوتي(١).

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾(٢).

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

أي: وما كان الله ليهلك القرىٰ بظلم منه لهم، والحال أنّهم مصلحون، أي: مقيمون علىٰ الصلاح، مستمرّون عليه، فما كان الله ليهلكهم إلاّ إذا ظلموا وقامت عليهم حجة الله، ويحتمل أن المعنىٰ: وما كان ربك ليهلك القرىٰ بظلمهم السابق، إذا رجعوا وأصلحوا عملهم، فإن الله يعفو عنهم، ويمحو ما تقدم من ظلمهم(٣).

★ ★ ★

قال الله تعالىٰ:

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٤).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٣٤٣.
(٣) سورة هود، آية: ١١٧.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٣٤٨.
(٤) سورة الحجرات، آية: ٩ ـ ١٠.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالىٰ آمراً بالإصلاح بين الفئتين الباغيتين بعضهم علىٰ بعض: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ فسماهم مؤمنين مع الاقتال، وبهذا استدلّ البخاري رحمه الله وغيره علىٰ أنّه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقوله الخوارج، ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم.

وقد ذكر سعيد بن جبير رحمه الله، أنّ الأوس والخزرج كان بينهما قتال بالسعف والنعال، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية، فأمر بالصلح بينهما.

وقال السدّي رحمه الله:

كان رجل من الأنصار يقال له عمران، كانت له امرأة تدعىٰ أم زيد، وإن المرأة أرادت أن تزور أهلها فحبسها زوجها، وجعلها في عليّة له لا يدخل عليها أحد من أهلها، وإن المرأة بعثت أهلها فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا بها، وإن الرجل كان قد خرج، فاستعان أهل الرجل، فجاء بنو عمه ليحولوا بين المرأة وبين أهلها، فتدافعوا واجتلدوا بالنعال، فنزلت فيهم الآية، فبعث إليهم رسول الله ﷺ وأصلح بينهم وفاؤوا إلىٰ أمر الله تعالىٰ.

وقوله: ﴿فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أي: اعدلوا بينهما فيما كان أصاب بعضهم لبعض بالقسط وهو العدل(١).

وقال الشيخ القاسمي رحمه الله:

ومن مقتضيات الإيمان: عقد الأخوة الحقيقية بين المؤمنين، للمناسبة الأصلية والقرابة الفطرية، التي تزيد علىٰ القرابة الصورية، والنسبة الولادية بما لا يقاس، ولا أقل من الإصلاح الذي هو من لوازم العدالة وأحد خصالها(٢).

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير ٤/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

(٢) انظر: محاسن التأويل ـ الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي ١٥/ ١٢٣

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:

هذا متضمن لنهي المؤمنين عن أن يبغي بعضهم على بعض، ويقتل بعضهم بعضاً، وأنه إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين فإنّ على غيرهم من المؤمنين أن يتلافوا هذا الشرّ الكبير بالإصلاح بينهم، والتوسط على أكمل وجه يقع به الصلح، ويسلكوا الطريق الموصلة إلى ذلك، فإن صلحتا فبها ونعمت، ﴿فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ هذا أمر بالصلح وبالعدل في الصلح، فإن الصلح قد يوجد، ولكن قد لا يكون بالعدل، بل بالظلم والحيف على أحد الخصمين، فهذا ليس هو الصلح المأمور به، فيجب أن لا يراعى أحدهما لقرابة، أو وطن، أو غير ذلك من المقاصد والأغراض التي توجب العدول عن العدل.

وفي هاتين الآيتين من الفوائد غير ما تقدم: أنّ الاقتتال بين المؤمنين مناف للأخوة الإيمانية، ولهذا كان من أكبر الكبائر، وأنّ الإيمان والأخوة الإيمانية لا يزولان مع وجود الاقتتال كغيره من الذنوب الكبائر التي دون الشرك، وعلى ذلك مذهب أهل السنة والجماعة.

وعلى وجوب الإصلاح بين المؤمنين بالعدل، وعلى وجوب قتال البغاة حتى يرجعوا إلى أمر الله[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ الشيخ: عبدالرحمن السعدي ٧٤٤ ـ ٧٤٥.

المبحث الثاني

الدروس الدعوية المستنبطة من آيات الإصلاح

١ـ الوعد الحسن من الله تعالىٰ للذين تابوا، وأصلحوا أعمالهم، وبيّنوا للناس ما كانوا يكتمونه.

٢ـ صلاح الأعمال من ثمار التوبة النصوح، المسبّبة لقبول توبة التائب.

٣ـ عناية المصلح بإصلاح وصية الموصي وقت الوصية إذا كان فيها حيف ممّا تأمربه الشريعة.

٤ـ الصلح جائز إلاّ صلحاً أحلّ حراماً، أو حرّم حلالاً.

٥ـ إصلاح أحوال اليتامىٰ ممّا تقضي به الشريعة الإسلامية وتثيب عليه.

٦ـ التوبة، وإصلاح الأعمال مما يقرّب العبد من الله حتىٰ وإن كان قبلها مرتكباً للموبقات.

٧ـ ينبغي أن يتضح الهدف الرئيس من الحكمين المنتخبين للزوجين المتخاصمين، هو أن يكون العمل علىٰ ما فيه صلاح أحوال الزوجين، وأين تكمن المصلحة، ومع من يكون الحق والصواب.

٨ـ إصلاح ذات البين ممّا ترغّب الشريعة في حدوثه، وتنهىٰ عن الإعراض عنه واستفحال ضدّه.

٩ـ النجوىٰ للإصلاح بين الناس مما أذنت الشريعة به، بل ذلك ممّا يرضي الله تعالىٰ، ويعطي عليه أجراً عظيماً.

١٠ـ الإصلاح بين الزوجين ممّا يعين علىٰ بقاء الألفة وحسن العشرة بينهما.

١١ـ ما يصطلح عليه الزوجان من الشروط الجائزة فلا جناح عليهما لأن

الصلح خير من الفراق.

١٢ـ ينبغي على المصلحين أن يتذكروا تقوى الله دائماً، وفي إصلاحهم خصوصاً.

١٣ـ إنّ الهدف الرئيس من بعثة المرسلين هو التبشير والنذير، ومن آمن بما جاء به المرسلون، وأصلح عمله باتباعهم، فلا يخاف فيما يستقبل، ولا يحزن على ما فات.

١٤ـ ثواب المصلحين عظيم، وأجرهم مضاعف بسبب جهودهم الإصلاحية.

١٥ـ بيان أنَّ الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم بعثوا بالصلاح لا بالفساد، ولذلك لم يضيع الله أجورهم، بل جازاهم وأوفاهم وأعطاهم.

١٦ـ المفسدون ضالّون منحرفون، لا يهدون طريق الخير أبداً، بل ولا يصلح الله سبحانه عمل المفسدين، لأن الله لا يرضى لعباده الكفر ولا يحبّه منهم.

١٧ـ ضرورة اتضاح هدف الدعوة لدى المصلح، وأنّ منتهى قصده: إرادة الإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

١٨ـ ضرورة توكل الداعية على الله، وإنابته إليه، وهو يمارس عملية الإصلاح.

١٩ـ النجاة تحصل ما دام المصلحون قائمين بواجبهم، والهلاك متحقّق إذا وقع الظلم والضلالة وسكت المصلحون.

٢٠ـ الإصلاح بين المتقاتلين المؤمنين ممّا توجبه أخوة الإيمان وتحضّ عليه.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الخاتمة

الحمدلله الذي هدانا للإسلام، وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على من كانت بعثته خيراً وسعادة للأمة، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إنّما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمّون فيه)(١).

فقد بلّغ رسول الله ﷺ الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حقّ جهاده، وترك أمته على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلاّ هالك، ورغّب أتباعه ﷺ في حمل لوائه، والاقتداء بهديه، والاستنان بسنّته، ودعوة الناس إلى هديه القويم الذي ختمت به الديانات والرسالات، وتكفّل الله سبحانه بحفظ دينه، وإبقاء طائفة منصورة إلى قيام الساعة، تلتزم الهدى، وتكون قدوة لغيرها، لا يضرها ضلال الضلاّل، ولازيغ الفجّار.

إنّ ديننا الإسلامي يحمل بين طياته أسرار إعجازه، وتأثيره في نفوس الناس، ولذا فإنه يحسن بالدعاة أن يتعرفوا مليّا على ما جاء في دينهم من أحكام وآداب، وأن يفقهوها الفقه السويّ كما فقهها سلف هذه الأمة الصالح رحمة الله عليهم، وأن يسوقوا الناس إلى دعوة الإسلام بأسلوب حسن جمّ، وبوسيلة مثلى مشروعة، لينتشر الخير، وتعلو الفضيلة، ويعمّ الأمن والأمان، ويدين الناس للمليك الديّان.

وقد جاء هذا الكتاب ليضع لبنة من اللبنات في ذلك البناء الذي ينبغي أن يشيّد لأمتنا، ورغبت فيه أن أعيد الناس - وخاصة في مجال الدعوة - إلى آيات

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: شفقته ﷺ على أمته، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرّهم ٤/ ١٧٨٩ رقم ٢٢٨٤.

القرآن الكريم من خلال مدلولاتها التي فقهها علماؤنا الأجلاء عليهم من الله الرحمة والرضوان.

وسيأتي الكتاب الثاني ـ إن شاء الله ـ ليستكمل هذه الحلقة تحت عنوان: «**نصوص الدعوةفي السنة النبوية**». أسأل الله سبحانه أن يرزقنا الإخلاص والسداد والصواب في القول والعمل. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المصادر والمراجع

١ ـ ادع إلى سبيل ربك: د. مصلح سيد بيومي ط٤ دار القلم، الكويت: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢ ـ أساس البلاغة: جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبدالرحيم محمود ط١ دار المعرفة، بيروت: ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٣ ـ أسس الدعوة وآداب الدعاة: محمد السيد الوكيل ط مطابع أخبار اليوم، القاهرة: بدون سنة طبع.

٤ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أحمد عزالدين البيانوني، ط٢، دار السلام، القاهرة: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٥ ـ تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي، ط دار مكتبة الحياة، بيروت بدون سنة طبع.

٦ ـ تاريخ الدعوة الإسلامية بين الأمس واليوم: آدم عبدالله الآلوري، ط منيمنة الحديثة، بدون سنة طبع، الناشر مكتبة الحياة بيروت.

٧ ـ التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته: د. عبدرب النبي علي أبو السعود، ط١ دار التوفيق النموذجية للطباعة، القاهرة: ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

٨ ـ تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: عبدالله بن صالح القصيّر، ط١ دار العاصمة، الرياض: ١٤١١هـ.

٩ ـ تذكرة الدعاة: البهي الخولي، ط٥ دار القلم، دمشق: ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

١٠ ـ التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة ط١ عالم الكتب، بيروت: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١١ ـ تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير ط١ دار الفيحاء بيروت: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض.

١٢ ـ التفسير القيم للإمام ابن القيم: جمع: محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٣ ـ تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: د. عبدالحليم النجار ط مطابع سجل العرب، القاهرة: بدون سنة طبع، الناشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

١٤ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبدالرحمن بن ناصر السعدي ط١ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٥ ـ جامع العلوم والحكم: أبو الفرج عبدالرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: د. وهبة الزحيلي ط١ مطابع دار الخير، بيروت: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، الناشر: المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

١٦ ـ الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٩٦٦م.

١٧ ـ الدعوة الإسلامية «أصولها ووسائلها»: د. أحمد أحمد غلوش، ط دار الكتاب اللبناني، بيروت: ١٩٨٧م.

١٨ ـ الدعوة الإسلامية «دعوة عالمية»: محمد بن عبدالرحمن الراوي ط٣ مكتبة الرشد، الرياض: ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١٩ ـ الدعوة الإسلامية في عهدها المكي «مناهجها وغاياتها»: د. رؤوف

شلبي ط٣ دار القلم، الكويت: ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٢٠ ـ الدعوة إلى الإصلاح: محمد الخضر حسين ط المطبعة السلفية، القاهرة: ١٣٤٦هـ.

٢١ ـ الدعوة إلى الله «الرسالة ـ الوسيلة ـ الهدف»: د. توفيق الواعي ط١ مكتبة الفلاح ـ الكويت: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٢ ـ الدعوة إلى الله في سورة «إبراهيم» الخليل: محمد بن سيدي بن حبيب ط١ دار الوفاء للنشر والتوزيع، جدة: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

٢٣ ـ الدعوة والإنسان: د. عبدالله بن يوسف الشاذلي، ط١ المكتبة القومية الحديثة، طنطا: بدون سنة طبع.

٢٤ ـ الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان: محمد سعيد البارودي ط١ دار الوفاء للنشر والتوزيع، جدة: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

٢٥ ـ شرح صحيح الإمام مسلم: يحيى بن شرف النووي، ط٢ دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٢٦ ـ الصحاح «تاج اللغة وصحاح العربية»: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد بن عبدالغفور عطار، ط٢ دار العلم للملايين بيروت: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢٧ ـ صحيح الإمام البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ط دار الفكر: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٢٨ ـ صحيح الإمام مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. نشر وتوزيع الرئاسة العامة للإفتاء بالرياض.

٢٩ ـ ضعيف سنن ابن ماجة: محمد ناصر الدين الألباني ط١ المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣٠ ـ ضعيف سنن أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني ط١ المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٣١ ـ ضعيف سنن الترمذي: تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ط١ المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٣٢ ـ فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح وتعليق: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، إخراج: محيي الدين الخطيب ط مكتبة الرياض الحديثة، بدون سنة طبع.

٣٣ ـ فقه الدعوة والإعلام: د. عمارة نجيب، ط شركة سعيد رأفت للطباعة ١٩٨٧م، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض.

٣٤ ـ فتح القدير «الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير»: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، ط١ دار الوفاء، المنصورة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، الناشر دار الأندلس الخضراء، جدة.

٣٥ ـ القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب فيروز أبادي، ط١ دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٣٦ ـ القول البيّن الأظهر في الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي، ط١ مكتبة السلام، الرياض: ١٤١٢هـ.

٣٧ ـ كشاف اصطلاحات الفنون: محمد علي الفاروقي التهانوي، تحقيق: د. لطفي عبدالبديع، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.

٣٨ ـ لباب التأويل في معاني التنزيل : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الخازن، ط دار المعرفة، بيروت، بدون سنة طبع .

٣٩ ـ لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم بن منظور ط دار صادر، بيروت : بدون سنة طبع .

٤٠ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد ط إدارة المساحة العسكرية، القاهرة : ١٤٠٤هـ، تنفيذ : مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، توزيع : الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين .

٤١ ـ محاسن التأويل : محمد جمال الدين القاسمي : ترقيم وتعليق : محمد فؤاد عبدالباقي، ط٢ دار الفكر، بيروت : ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

٤٢ ـ مختار الصحاح : محمد بن بكر الرازي، ط١ دار الكتاب العربي، بيروت : ١٩٦٧م .

٤٣ ـ مدخل إلى علم الدعوة : عبدالرب نواب الدين، ط١، دار العاصمة الرياض : ١٤١٣ هـ .

٤٤ ـ المدخل إلى علم الدعوة : د. محمد أبو الفتح البيانوني، ط١ مؤسسة الرسالة، بيروت : ١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩م .

٤٥ ـ مرشد الدعاة : محمد نمر الخطيب، ط١ دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت : ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

٤٦ ـ مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر : علي بن صالح المرشد، ط١ مكتبة لينة، دمنهور بمصر : ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

٤٧ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، فهرس الرواة : محمد ناصر الدين الألباني، ط مؤسسة قرطبة، القاهرة : بدون سنة طبع .

٤٨ ـ المسند للإمام أحمد بن حنبل، شرح وفهارس، أحمد محمد شاكر، ط٣ دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة: ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.

٤٩ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد المقري، ط دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٥٠ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبدالباقي، ط المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا: ١٩٨٢م.

٥١ ـ معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط دار الفكر: بدون سنة طبع.

٥٢ ـ المعجم الوسيط: إعداد مجمع اللغة العربية، ط٢ دار إحياء التراث العربي، بيروت: بدون سنة طبع.

٥٣ ـ المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت: بدون سنة طبع.

٥٤ ـ من فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: محمد بن عبدالله الخطيب، ط دار المنار الحديثة، مصر بدون سنة طبع.

٥٥ ـ النصيحة «شروطها وضوابطها»: د. عبدالعزيز بن صالح المسعود، ط١ دار الوطن، الرياض: ١٤١٤هـ.

٥٦ ـ هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة: علي محفوظ، ط٤ دار الاعتصام، بدون سنة طبع.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الموضوعات

المحتوى	الصفحة
المقدمة:	٥
الفصل التمهيدي (تعريفات منهجية):	٩
١ـ تعريف الدعوة:	
أ ـ الدعوة في اللغة	١١
ب ـ الدعوة في الاصطلاح :	١٥
أولاً : الدعوة بمعنى النشر والبلاغ .	١٦
ثانياً : الدعوة بمعنى الدين أو الرسالة .	١٨
٢ـ تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:	
أ ـ المعروف في اللغة .	٢٠
ب ـ المنكر في اللغة .	٢١
٣ـ تعريف النصيحة:	
أ ـ النصيحة في اللغة .	٢٣
ب ـ النصيحة في الاصطلاح .	٢٥
٤ـ تعريف الموعظة الحسنة:	
أ ـ الموعظة في اللغة .	٢٦
ب ـ الموعظة في الاصطلاح .	٢٧
٥ـ تعريف البلاغ:	
أ ـ البلاغ في اللغة .	٢٨
ب ـ البلاغ في الاصطلاح .	٢٩
٦ـ تعريف الإصلاح:	
أ ـ الإصلاح في اللغة .	٢٩
ب ـ الإصلاح في الاصطلاح .	٣١

الفصل الأول: (آيات الدعوة والدروس المستنبطة منها) ٣٣
المبحث الأول: آيات الدعوة وشروحها ٣٥
المبحث الثاني: الدروس الدعوية المستنبطة من آيات الدعوة ٧٣
الفصل الثاني: (آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدروس المستنبطة منها) ٧٧
المبحث الأول: آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشروحها ٧٩
المبحث الثاني: الدروس الدعوية المستنبطة من آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٩٩
الفصل الثالث: (آيات النصيحة والدروس المستنبطة منها) ١٠٣
المبحث الأول: آيات النصيحة وشروحها ١٠٥
المبحث الثاني: الدروس الدعوية المستنبطة من آيات النصيحة ١٠٩
الفصل الرابع: (آيات الموعظة الحسنة والدروس المستنبطة منها) ١١١
المبحث الأول: آيات الموعظة الحسنة وشروحها ١١٣
المبحث الثاني: الدروس الدعوية المستنبطة من آيات الموعظة الحسنة ١٢٩
الفصل الخامس: (آيات البلاغ والدروس المستنبطة منها) ١٣٣
المبحث الأول: آيات البلاغ وشروحها ١٣٥
المبحث الثاني: الدروس الدعوية المستنبطة من آيات البلاغ ١٤٧
الفصل السادس: (آيات الإصلاح والدروس المستنبطة منها) ١٤٩
المبحث الأول: آيات الإصلاح وشروحها ١٥١
المبحث الثاني: الدروس الدعوية المستنبطة من آيات الإصلاح ١٦٩
الخاتمة: ١٧١
فهرس المراجع والمصادر: ١٧٣
فهرس الموضوعات: ١٧٩

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

صدر للمؤلف

١- أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة. «مجلد»

٢- صفات الداعية. «غلاف»

٣- حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأركانه ومجالاته. «غلاف»

٤- نصوص الدعوة في القرآن الكريم «دراسة تأصيلية» «غلاف»

يصدر قريبًا إن شاء الله

- نصوص الدعوة في السنة النبوية «دراسة تأصيلية»

إشبيليا للدراسات والإعلام

ت/ فاكس: ٤٧٧٣٩٥٩ - ص.ب.: ٣٢٤٦٠ - الرياض

مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ * الرياض

ردمك: ٣-٢٠-٧٢٧-٩٩٦٠